مجلة جامعة الملك سعود، م١٦، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية (١)، ص ص ٤٨٥- ٥٤٥ (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)

الأسس الإسلامية للتربية المهنية

عبد العزيز بن عبد الرحمن الحميد

أستاذ مساعد، كلية العلوم الاجتماعية، قسم التربية،

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية

(قدم للنشر في ١٤٢٢/١/١٤هـ؛ وقبل للنشر في ١٤٢٢/٨/٢١هـ)

ملخص البحث. البحث دراسة وصفية تعتمد على وصف وتحليل ما تتضمنه مصادر التربية الإسلامية، وخصوصا القرآن والسنة من نصوص ذات علاقة بالتربية المهنية، وذلك بمراجعة أقوال المفسرين وشرح الأحاديث حول معاني هذه النصوص والفوائد المستنبطة منها، مع الاستفادة من أقوال وآراء العلماء والتربويين المسلمين قديما وحديثا فيما يتعلق بالتربية المهنية؛ ولا سيما ما يتعلق بأهداف البحث؛ وهي تبيان الأسس التربوية الإسلامية التي تقوم عليها التربية المهنية، وإبرازها، وتوضيحها. وقد تم عرض الحقائق المتعلقة بهذا الموضوع من خلال استعراض بعض المفاهيم الأساسية، مثل مفهوم العمل والمهنة في الإسلام، والتفسير الإسلامي للعمل والمهنة، أو للنشاط الإنساني بشكل عام، ومفهوم عمارة الأرض وفق منهج الله، وتسخير ما في الأرض من ذخائر وكنوز وطاقات، وتزويد الإنسان بمواهب وطاقات يستثمرها في عمارة الأرض، واستخراج كنوزها وذخائرها، ومفهوم العمل والعبادة بمعناها الشامل، والمقصود بالتربية المهنية في الإسلام، ثم عرض أهم المبادئ والقيم والأخلاق المتعلقة بالعمل والمهنة، والخروج من ذلك كله بطائفة من الأسس التربوية الإسلامية التي تقوم عليها التربية المهنية.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: تحتل التربية المهنية يوما بعد يوم مكانة متقدمة، وأهمية متجددة في أغلب الأنظمة التربوية المعاصرة، ويلقى التعليم التقني والتدريب المهني اهتماما متزايدا في بقاع كثيرة من العالم؛ بل إن الحاجة إلى مثل هذا التعليم والتدريب تزداد بشكل متسارع نظرا لما أفرزه تعقد الحياة المعاصرة وتنوعها من كثرةٍ في المهن والأعمال والوظائف والحرف التي تحتاج إلى تعليم وتربية مهنية شاملة. ولذلك فإن "التربية المهنية" لم تعد عبارة عن تدريب مهني بحت؛ وإنما أصبحت فرعا من فروع التربية يقوم على أصولٍ نظريةٍ وأسس فكرية، وينتمي إليه باحثون ومنظرون، وتقام له خطط وبرامج ومؤسسات وجامعات، وتعلق عليه الآمال في حل بعض المشكلات؛ كمشكلة البطالة، ومشكلة تدني الخبرة، وندرة التخصص المهني الدقيق، مع كثرة العاطلين عن العمل، ومشكلة الفجوة بين متطلبات سوق العمل ومخرجات التعليم، حيث يكثر الخريجون الذين يحملون مؤهلاتٍ نظريةٍ لا تتوافق مع ما يتطلبه سوق العمل من المهارة المهنية والخبرة التخصصية العلمية، ومشكلة النظرة الدونية للعمل المهني أو اليدوي، ومشكلة تدني الالتزام الخلقي في الممارسة المهنية، وغيرها. وهذه مشكلات نتج عنها مشكلات أخرى انعكست سلبا على تقدم بعض المجتمعات ونموها وازدهارها، وساهم ذلك في وجود اختلالات اجتماعية واقتصادية وسكانية كثيرة؛ ومن ذلك مثلا أن النظرة الدونية للعمل المهني تنسحب تلقائيا على الموقف من المؤسسات التعليمية المهنية والتقنية؛ حيث توصف الدراسة في مثل هذه المؤسسات في نظر البعض بأنها ذات قيمة متدنية لا تقاس بقيمة الانخراط في مؤسسات التعليم النظرية والتطبيقية؛ كالكليات الجامعية أو العسكرية مثلا. وهذه النظرة وآثارها السلبية هي ما أشار إليه الخطيب بقوله: "كما أن الاتجاهات القائمة لدى كثير من العامة نحو بعض المهن أثرت تأثيرا بالغا في الحد من فعالية الجهود المبذولة لتوفير العمالة المهنية المحلية في بعض المجتمعات" [١، جـ١، ص ٥٨].

ويتمخض عن ذلك العزوف عن هذا النوع من التعليم مما ينتج عنه ارتفاع في معدلات البطالة، لأن المؤسسات التعليمية النظرية يستحيل أن تستوعب كل خريجي الثانوية العامة مثلا؛ في حين يوجد نقص كبير في الاستجابة لحاجة المجتمع من المتخصصين المهنيين في شتى المجالات المهنية؛ مما يدفع المجتمع إلى سد هذا النقص عن طريق جلب العمال والمهنيين من مجتمعات أخرى، وهذا له نتائج سلبية كثيرة ليس هذا مجال بحثها. وقد نضطر- أو هكذا يبدو لنا- إلى استجلاب "الخبراء الأجانب" لحل مشاكل تقنية غير معقدة، أو ليست من الدقة بحيث يندر وجود الخبرات الوطنية التي تتعامل معها بنجاح، وقد تكون تلك الخبرات الوطنية في مستوى الكفاية أو فوقه. وسواء كانت حاجتنا إلى استقدام الخبراء الأجانب حقيقية أو متوهمة، فإن من المفارقات العجيبة حقا أن تتسم نظرتنا إلى العمل المهني أو التقني بالدونية والاحتقار إذا ارتبط العمل في هذا المجال ببني جلدتنا؛ في حين أن "الخبير الأجنبي" يلقى لدينا مزيدا من التقدير والاحترام؛ وهو خبير في المجال نفسه الذي نحتقر أنفسنا إذا انخرطنا فيه! ونحن في ذلك بين معضلتين: النظرة الدونية للعمل المهني أو التقني، وأزمة الثقة بالنفس إلى درجة التعلق بكل ما هو أجنبي!

ولا ريب أننا في ذلك أمام مشكلة نفسية اجتماعية؛ وعلاج مثل هذه المشكلات ينبغي أن يبدأ في محاضن التربية ومؤسسات التعليم؛ فهي المؤهلة- قبل غيرها من المؤسسات- لتزويد الناشئة بالمفهوم الصحيح المستمد من المصادر الإسلامية حول العمل والمهنة، وهي المؤهلة كذلك لبناء الاتجاهات النفسية الثابتة التي يصدر عنها السلوك المتزن، وهي المؤهلة كذلك لعلاج الثغرات النفسية، كضعف الثقة بالنفس- سواء كان ذلك على المستوى الفردي أو الاجتماعي- أو ما يسمى بـ "عقدة الأجنبي" والنظر إليه على أنه يملك الحلول السحرية لمشكلاتنا في حين أننا نحن لا نستطيع ذلك.

ومن المشكلات أيضا العزوف عن الدراسة المهنية من قبل الطلاب ذوي المعدلات العالية أو المتوسطة؛ حيث يتجهون إلى التخصصات العلمية النظرية أو البحتة؛ فيكون نصيب مؤسسات التربية المهنية من الطلاب ذوي المعدلات المتدنية دراسيا أو المتسربين من

الدراسة، حيث يلتحقون بالمدارس المهنية كحل بديل لملء الفراغ الذي يعيشونه بعد ترك الدراسة.

وهذا شيء إيجابي طيب أن تستوعب الدراسة المهنية- ثم العمل المهني بعدها- هذه الطاقات، وإن تفعِّلها فيما يعود عليها بالفائدة، ويبعد عنها شبح البطالة؛ لكن ذلك يكون على حساب حاجة المجتمع إلى مهنيين مهرة يتصفون بنبوغ ذهني متميز يقودون المجتمع نحو الرقي في مدارج التقدم التقني والفني الدقيق، وحاجة المجتمع كذلك إلى شرائح مهنية يسود فيها الالتزام الخلقي الضروري للتعامل مع شرائح المجتمع الأخرى، ولتقديم العمل أو الخدمة بأمانة وإخلاص.

إن أسباب هذه المشكلات لا يمكن أن تنحصر في سببٍ واحدٍ بعينه؛ وإنما هي تراكمات عديدة اجتماعية وتاريخية وثقافية؛ ولكنها من جانب آخر تشير إلى واحدٍ من جملة أسبابٍ عديدة نتج عنها وجود هذه المشكلات أو بعضها؛ ذلك هو غياب الرؤية الإسلامية للعمل، وغياب المعرفة بقيمة العمل المهني في الإسلام، ومكانة أخلاقيات التعامل والممارسة المهنية في المنظور الإسلامي؛ وبالتالي غياب المعرفة بحقيقة الأسس الإسلامية للتربية المهنية.

وحيث إن هذه المشكلات يوجد شيء منها- أو كلها- في بعض المجتمعات المسلمة المعاصرة فإن هذا يدعو إلى الاهتمام بالتربية المهنية في هذه المجتمعات؛ ومن الاهتمام بها البحث عن أسسها التربوية الإسلامية، وتحريرها، وإبرازها، لكي تؤسس عليها المناهج التربوية المهنية، وتقوم عليها البرامج والخطط والتطبيقات العملية.

مشكلة البحث

يكاد يكون من المتفق عليه عند الجميع أننا نعاني من وجود مشكلات كثيرة في مجال العمل والمهنة، بعضها مرده إلى الجهل بأسس التربية المهنية في الإسلام، وبعضها مرده إلى عدم التقيد بأخلاق المهنة التي حثّ عليها الإسلام، وشرّع لها ورسّخ جذورها قبل أي

نظام وضعي آخر. فالمشكلة في جوهرها "نظرية عملية" ؛ أي أن المجتمعات المسلمة تعاني من أزمة أخلاقية في هذا المجال، ومن المتفق عليه عند الجميع أن ناحية المهارة في أداء العمل أو المهنة قد نالت نصيبا طيبا في خطط التنمية وبرامجها، حيث أنشئت كثير من معاهد التدريب المهني وكليات التقنية والمدارس الصناعية والزراعية والتجارية، وغيرها. ولكن المشكلة- في أحيان كثيرة- لا تأتي من هذه الناحية ؛ وإنما تأتي من ضعف "الوازع الأخلاقي" والاستهانة بشأن الأمانة ؛ حيث نجد الغش، والتدليس، والخداع، والمماطلة في المواعيد، والتحلل من الالتزامات، وما إلى ذلك، وهذا- بطبيعة الحال- أمر لا يمكن القول بتعميمه، وإن كان شيوعه مما لا ينكره منصف. ومعنى ذلك أن هناك " فجوة أخلاقية " في مجال الممارسة المهنية ومجرد وجودها هو- في حد ذاته- يعد مشكلة تتطلب حلا أو علاجا تربويا ينبغي أن يضاف إلى أهداف واهتمامات المعاهد والمدارس والكليات المعنية بتقديم وتطوير المهارات والخبرات في مجال العمل المهني ؛ حيث تحاول أن تسد هذه الفجوة عن طريق المنهج التعليمي أو التدريبي نفسه ؛ إذ يتضمن المنهج شيئا عن أسس التربية المهنية، وقيم العمل ومبادئه ، وأحكام التعامل المهني من وجهة النظر الشرعية الإسلامية. ورغبة من الباحث في المساهمة بتقديم ما يساعد على علاج هذه المشكلة جاءت معالجة هذا الموضوع حول الأسس والمبادئ الإسلامية المتعلقة بالعمل المهني، وذلك في إطار النظرة الإسلامية العامة لهذا الموضوع ؛ ومن خلال ذلك تتلخص مشكلة البحث في الإجابة عن السؤال الآتي : ما هي الأسس الإسلامية للتربية المهنية؟

وهذه المعالجة البحثية هي محاولة للإجابة عن هذا السؤال من خلال البحث في مصادر التربية الإسلامية.

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى تبيان حقيقة النظرة الإسلامية تجاه العمل والمهنة، مع تبيان الأسس التربوية الإسلامية التي تقوم عليها التربية المهنية، وإبراز هذه الأسس وتجليتها

بشكلٍ يتيح للقائمين على شؤون التربية المهنية الاستفادة منها في بناء المنهج المدرسي وتخطيطه وتنفيذه، ويساعد في الوقت نفسه في محاربة النظرة السلبية تجاه العمل المهني وإحلال النظرة الإيجابية محلها.

أهمية البحث

يكتسب هذا البحث أهميته من أهمية "التربية المهنية" نفسها؛ إذ أنها في الوقت الحاضر أصبحت ضرورة لتنمية المجتمعات الإنسانية وترقيتها وسد حاجاتها، وفي الوقت نفسه هي ضرورة ملحة لإعداد الأفراد وإبراز مهاراتهم، وإثراء خبراتهم، وتطوير مؤهلاتهم العلمية والعملية لكي تلبي متطلبات سوق العمل، وهي بذلك تفتح لهم مجال الاعتماد على النفس، وممارسة العمل المهني، والمساهمة في بناء مجتمعاتهم بفعالية وثقة، وهذا البحث هو محاولة للإسهام في ذلك من خلال إبراز أسس التربية المهنية في الإسلام.

مصطلحات البحث

التربية المهنية

هي ذلك الفرع من التربية الذي يتمحور حول تعليم المهن نظريا وعمليا، ويدخل في الجانب النظري المعارف الضرورية لممارسة المهنة واستيعابها بالإضافة إلى المبادئ والقيم التي تحكم ميدان العمل المهني. ويدخل في الجانب العملي كل ما يتعلق بالأداء المهني الصحيح والإجراءات العملية الكفيلة بإتقان المهنة.

أسس التربية المهنية

الأسس جمع أساس؛ وهو أصل الشيء وقاعدته التي يبنى عليها، فأسس التربية المهنية هي قواعدها العامة التي تبنى عليها.

منهج البحث

منهج البحث هو المنهج الوصفي، وذلك باستخدام هذا المنهج في وصف ما تضمنته وثائق الدراسة، أي مصادر التربية الإسلامية من نصوص حول التربية المهنية، كنصوص القرآن والسنة، وأقوال العلماء الذين تعرضوا لتفسير الآيات وشروح الأحاديث، وكذلك أقوال التربويين المسلمين الذين كان لهم آراء معينة فيما يتعلق بالتربية المهنية.

الدراسات السابقة

تندرج الدراسات السابقة في الموضوع ضمن محورين هما:

١- الدراسات التي تطرقت إلى موضوع التربية المهنية في الإسلام بشكلٍ عام، من حيث تاريخها، وروادها، وممارساتها ومؤسساتها، والتحديات التي تواجهها، واتجاهاتها، وقيمها، وما يتعلق بذلك؛ ومنها دراسة ناصر علي بشيه (١٤٠٤هـ)، ودراسة محمد كمال طه الحسيني (١٤٠٤هـ)، ودراسة هند علي فهمي (١٤٠٤هـ)، ودراسة عبد الرحمن النقيب (١٤٠٧هـ).

وتصب في هذا المجرى بعض الدراسات التي قدمت للقاء السنوي السادس للجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية حول التعليم المهني ومستقبل التنمية في المملكة عام ١٤١٥هـ؛ ومنها دراسة خالد بن حامد الحازمي بعنوان "مفهوم العمل والمهنة في منظور التربية الإسلامية،" ودراسة صالح بن سليمان العمرو بنفس العنوان تقريبا، ودراسة عطية منصور عبد الصادق بعنوان "المرتكزات الأساسية والمضامين التربوية لمكانة العمل في المنظور الإسلامي،" ودراسة حسين بانبيلة "دور التربية الإسلامية في تأصيل قيمة العمل كمفهوم تربوي" [٢، ص ص ١ - ١٤، ٢٧- ٣٠].

٢- الدراسات التي خصصت بعضا من معالجاتها للأصول العامة للتربية المهنية في الإسلام؛ ومنها دراسة محمد شحات الخطيب (١٤١٥هـ)، ودراسة جمال محمد محمد الهنيدي (١٤٢٠هـ)، وفيما يلي استعراض لأهم هذه الدراسات.

أ) دراسة ناصر علي بشبيه "التربية الإسلامية والتحديات في المجال التقني" (١٤٠٤هـ)

تناولت هذه الدراسة من خلال منهج وصفي التحديات التي يواجهها العالم الإسلامي في مجال التقنية، والتي ساهمت في تأثر الأمة الإسلامية بالهيمنة الاقتصادية والسياسية للعالم الغربي الذي يمتلك هذه التقنية ويوظفها لتحقيق أغراضه البعيدة. ووضّح الباحث منهج التربية الإسلامية في الحياة؛ حيث تعد الفرد لعبادة الله وتؤهله- كذلك= لعمارة الأرض ليتمكن من تحقيق "الخلافة" فيها كما أراد الله سبحانه وتعالى. وقد أشار إلى العوامل التي أدت إلى ضعف المسلمين في الجانب العلمي والتقني، ودعا إلى ضرورة الاستفادة من التقنية بمعزلٍ عن تشرب الأفكار الغربية الوافدة وتربية العقل على التفكير المنهجي المستنير بالوحي، وشكر الله على تسخيره لقوى الكون، وذلك باستخدام الطاقات الكونية وفقا لمنهج الله، وتعريب العلوم الطبيعية، وعرضها وتدريسها بمنهج إسلامي، كما استخدم الباحث المنهج التاريخي في عرض منجزات الرواد المسلمين في العلوم والتقدم التقني، وفي تتبع الجذور التاريخية للتحديات التقنية المعاصرة [٣، ص ٢٩].

ب) دراسة محمد كمال طه الحسيني "الاتجاه البـ ـوليتيكنيكي في التربيـ ـة الإسـ ـلامية (١٤٠٤هـ)

سلك الباحث في دراسته هذه منهجا تاريخيا في تتبع الاتجاه البوليتيكنيكي (اتجاه التطبيقات التقنية المتعددة، أو المتنوعة) في التربيات المختلفة عبر العصور ابتداء من المجتمعات القديمة إلى المعاصرة، مرورا بالتربية عند الفراعنة والإغريق والرومان والعصور الوسطى في أوروبا ثم التربية الإسلامية، وتناول التطبيقات التربوية لهذا الاتجاه في العالم الرأسمالي والشيوعي، وكذلك العالم الثالث. كما استخدم المنهج المقارن للمقارنة بين التربيات المعاصرة والتربية الإسلامية في عنايتها بهذا الاتجاه، حيث أكد دور السمات العامة التي تتميز بها التربية الإسلامية، مثل ربط العلم بالعمل، ودمج النظرية بالتطبيق، وتعميم التعليم لأفراد المجتمع، ووظيفة المعرفة وتوظيفها، وما إليها من سمات ثقافية تسهم في تنمية الإنسان وتكامل الجوانب الفكرية والعلمية لديه، ومن ثم حفزه لممارسة دوره

الإيجابي المنتج في المجتمع، وهي دراسة مركزة على تتبع هذا الاتجاه، ولم يكن من هدفها البحث عن أسس إسلامية للتربية المهنية [٣، ص ص ٢٨، ٢٩].

جـ) دراسة هند علي فهمي "دور التربية الدينية في تدعيم قيمة العمل لدى تلاميذ وتلميذات الحلقة الثانية من التعليم الأساسي" (١٤٠٤هـ)

استعرضت هذه الدراسة من خلال منهج تحليل المحتوى قيمة العمل في برامج التربية الدينية في الصفوف الثلاثة (السابع والثامن والتاسع) من المرحلة الثانية من مراحل التعليم الأساسي في جمهورية مصر العربية، وذلك لمعرفة دور مناهج التربية الدينية في تدعيم قيمة العمل لدى تلاميذ هذه المرحلة، كما تناولت دور المدرسة ودور معلم التربية الدينية في تدعيم هذه القيمة، وأوصت الدراسة بأهمية التكامل بين النواحي النظرية والعملية في المقررات الدينية، وضرورة الاهتمام بالسلوك الديني داخل المدرسة وخارجها، وأهمية تبني نظرة محترمة نحو العمل بشتى أنواعه (البدنية والفكرية) تتفق وقيم الدين الإسلامي الحنيف [٣، ص ص ٣٠، ٣١].

د) دراسة عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب "مدخل لدراسة الاتجاه الحرفي والمهني في التربية الإسلامية" (١٤٠٧هـ)

عرض الباحث في دراسته هذه لبعض الحرف والمهن والصناعات في إطار نظرة الإسلام إلى العمران البشري وعلاقتها بالاتجاه المهني، كما تعرض للمؤسسات التعليمية المهنية، ومدى اهتمام رواد التربية في الإسلام بالحرف والمهن، وأهمية العنصر الأخلاقي في تكوين شخصية الفرد المسلم بشكلٍ عام؛ ثم أهمية الأخلاق الخاصة بكل مهنة أو حرفة، وذكر أمثلة لارتباط بعض المهن بأخلاق معينة خاصة بها. وخرج بعدد من النتائج والتوصيات حول ضرورة التركيز على خصوصيتنا التربوية الإسلامية في التخطيط للتربية المهنية، وأهمية أخلاق المهنة، وتحقيق الاكتفاء الذاتي في ميدان الصناعات والأعمال تطبيقا لمبدأ "فرض الكفاية"، الذي يلزم المجتمع بسد حاجته من المتخصصين المهنيين ذاتيا ويحمي المجتمع في الوقت ذاته من التبعية للغير في ميادين الاقتصاد والعمل [٣، ص ٣١].

وللدكتور النقيب دراسة أخرى بعنوان "الإعداد التربوي والمهني للطبيب عند المسلمين،" وهي دراسة تاريخية مركزة على هذا الجانب، وهو نوع من التربية المهنية، تعرض الباحث لتطبيقات هذا الإعداد عند المسلمين في عصورهم الزاهرة، وخرج من ذلك بجملة من الحقائق والمبادئ والنتائج المتعلقة بهذا الموضوع، ويمكن أن يستفاد منها فيما يتعلق بالتربية المهنية بشكل عام [٤، ص ص ٥- ٩].

هـ) دراسة محمد بن شحات الخطيب "الأصول العامة للتعليم الفني والمهني- دراسة في إستراتيجيات التعليم الفني والمهني ومشكلاته" (١٤١٥هـ)

وهي دراسة موسعة حول الأصول العامة للتعليم الفني والمهني نشرها مكتب التربية العربي لدول الخليج في جزأين كبيرين ؛ وقد نال بها الباحث جائزة المكتب في مجال التربية لعام ١٤١٢- ١٤١٣هـ. وتناول الباحث في هذه الدراسة الأصول الفلسفية، حيث تعرض لتحليل النظام التعليمي بما في ذلك "شرح مفاهيمه وغايات التعليم الفني والمهني،" والأصول الاجتماعية للتعليم الفني، وعرض أثناء ذلك لبيان أهمية العمل والمهنة في المنظور الإسلامي من خلال دلالات النصوص الشرعية ؛ ثم تطرق إلى الأصول الاقتصادية بشكل عام، وتضمن ذلك عرضا للمنظور الإسلامي لاقتصاديات التعليم الفني والمهني. أما الأصول النفسية للتعليم المهني فلم يتضمن عرضه لها أي طرح يتعلق بهذه الأصول من وجهة النظر الإسلامية. وبدلا من ذلك دعا الباحثين إلى العمل الجاد في تأصيل هذا الجانب. وفي باب الأصول التاريخية والسياسية قدم عرضا موسعا لتاريخ التعليم الفني والمهني منذ وجود المجتمعات البشرية القديمة وحتى العصر الحديث مرورا بالتربية المهنية عند الفراعنة، وسكان بلاد الرافدين، وسكان بلاد الشام من الشعوب القديمة، واليمن، وعند اليونان والرومان، وفي أوروبا العصور الوسطى وما بعدها، ثم التربية المهنية في الحضارة الإسلامية عبر العصور، وعرض في هذا الباب- بشئ من التوسع- ثلاث تجارب معاصرة للتعليم المهني والفني، وهي تجارب الولايات المتحدة الأمريكية، ومصر، والمملكة العربية السعودية. وفي الباب الأخير عرض الباحث للأصول الإدارية العامة للتعليم الفني

والمهني، وقد بدأ ذلك بمقدمة حول الإدارة في الإسلام تاريخيا ونظريا، ثم توسع في عرض هذه الأصول من خلال منظور الإدارة الحديثة [١، جـ ١، ص٢].

و) دراسة جمال محمد محمد الهنيدي "التربية المهنية والحرفية في الإسلام" (١٤٢٠هـ)

وهي بحث ثري زاخر بالمعلومات حول العمل المهني والحرفي في الإسلام، إلا أن أغلب الجهد فيه منصب على موضوعات مهنية وحرفية بحتة وليس على "التربية المهنية،" وذلك مثل مكانة المهن والحرف في الإسلام، والتصنيفات المختلفة للمهن والحرف، والمهن والحرف في القرآن الكريم، ثم المهن والحرف في السنة النبوية. وقد عالج هذه الموضوعات بدقة وتفصيل، كل موضوع منها في فصل خاص، ومن أقرب موضوعات البحث إلى التربية المهنية وألصقها بها الفصل الثالث "الأصول النظرية للتربية المهنية والحرفية في الإسلام،" والفصل السابع "أخلاقيات المهن والحرف". إلا أن أغلب جهد الباحث كان متعلقا بالجوانب المهنية والحرفية البحتة، كما أسلفنا. وقد عالج في الفصل الثالث نوعين من الأصول النظرية للتربية المهنية، هما الأصول النفسية، والأصول الاجتماعية، ومن خلال ذلك توصل إلى نتائج هامة فيما يتعلق بموضوع المهن والتربية المهنية، وخلص من دراسته هذه إلى عدد من التوصيات الهامة [٣، ص ص ١٩- ٣٣].

منافشة الدارسات السابقة

يتضح من استعراض هذه الجهود أن دراسات المحور الأول كانت تدور حول التربية المهنية في الإسلام بشكل عام، وأن أغلب دراسات هذا المحور كانت مركزة حول موضوعٍ معين، أو اتجاهٍ معينٍ، أو قيمة من القيم المتعلقة بالعمل المهني، أو تحليلٍ لمحتوى المقررات الدينية، أو ما إلى ذلك بعيدا عن التركيز على موضوع الأسس الإسلامية للتربية المهنية. ولا يتبين من ذلك أن أيا من هذه الدراسات كان معنيا بالبحث عن أسس إسلامية للتربية المهنية وهو موضوع الدراسة الحالية. وأما دراسات المحور الثاني، فإن دراسة الخطيب قد تعرضت للأصول العامة للتربية المهنية (الفلسفية، والاجتماعية، والاقتصادية، والنفسية، والتاريخية، والسياسية، والإدارية)، وتطرقت لوجهة النظر الإسلامية في هذه الجوانب

باستثناء الأصول النفسية. وأما دراسة الهنيدي، فقد تعرضت للأصول النظرية الإسلامية (النفسية والاجتماعية) للتربية المهنية؛ إلا أن ذلك كله لم يكن ممحضا لبحث الأسس الإسلامية للتربية المهنية، وإنما كان بحثا عاما للأصول النظرية العامة في هذه الجوانب، وهذا لا يكفي لتحرير الأسس الإسلامية للتربية المهنية، حيث تدعو الحاجة إلى تحريرها وإبرازها بشمولها بشكل دقيقٍ مركز، وهو ما هدفت إليه الدراسة الحالية، والله المستعان.

العمل والمهنة في الإسلام

إن من المهم- من وجهة نظر الباحث على الأقل- بيان حقيقة العمل والمهنة في المنظور الإسلامي، وذلك بعرض هذه الحقيقة من خلال بيان مفهوم العمل والمهنة في الإسلام، والتفسير الإسلامي للعمل بشكل خاص والجهد البشري بشكل عام، وعلاقة العمل بالمفهوم الشامل للعبادة، مع بعض المبادئ والقيم الإسلامية المتعلقة بالعمل والمهنة، سواء فيما يتعلق بمكانة العمل في الإسلام، أو بواجبات العامل وحقوقه، وما إلى ذلك، وهذه مقدمة ضرورية لابد من ذكرها كإطار نظري للموضوع يتم بعده استخلاص أهم الأسس والقواعد العامة التي تبنى عليها التربية المهنية في الإسلام.

مفهوم العمل والمهنة في الإسلام

أولا: العمل

يطلق لفظ العمل في المصادر اللغوية على معنى قريب جدا من المعنى المصطلح عليه لهذه اللفظة في الوقت الحاضر، فالعمل- كما في *لسان العرب*- هو"المهنة والفعل، والجمع أعمال" [٥، جـ ٤، ص ٣١٠٧]، والعامل هو "من يعمل في مهنة أو صنعة" [٦، جـ ٢، ص ٦٢٨].

وهذا المعنى قريب الصلة بالمفهوم المعاصر للعمل، وإن كان هناك من عرّف العمل بطريقةٍ أكثر تفصيلا، كما جاء ذلك في بعض الكتب المعاصرة: "العمل هو كل إجهادٍ ذهني أو عضلي يهدف به الإنسان إلى إيجاد شيء يسد به بعض حاجاته" [٧، ص ٥]، أو

"العمل هو كل جهد يبذله الإنسان- ذهني أو بدني- لخلق منفعة اقتصادية أو زيادة منفعة شيء موجود" [٨، ص ١٠].

وهذا المعنى أو التعريف- كما يتضح- ينحصر في نطاق الإنتاجية الاقتصادية، والمنفعة الشخصية الآنية، ولذلك فإنه لا ينطبق تماما على المعنى المقصود بالعمل في الاصطلاح الإسلامي، حيث إن العمل في الإسلام يتميز بالبعد الأخروي إلى جانب البعد الدنيوي، كما أنه ينظر إلى العمل في الإسلام من زوايا أخرى أو معايير أخرى- بجانب الإنتاجية أو النفعية- كشرعية العمل، وأخلاقيته، وصلاحه أو فساده، والنية الكامنة وراءه، وما إلى ذلك. ولذلك جاء في القرآن الكريم ذكر أنواعٍ متعددةٍ من الأعمال؛ فهناك مثلا:

١- العمل الصالح، أو العمل الأخروي، وهو العمل المقصود من ورائه ابتغاء الأجر من الله في الدار الآخرة؛ كما في قوله تعالى: ﴿ ﴾ (فاطر، الآية ١٠). وهو العمل المقترن بالإيمان؛ كما في قوله تعالى: ﴿ ﴾ (طه، الآية ٧٥)، وقوله: ﴿ ﴾

﴿ ۞ ٱلۡمَنِيَّةُ عَلَيۡهِ ﴾ (النحل، الآية ٩٧).

ونجد في القرآن الكريم حثا مركزا على هذا النوع من العمل وإشادة به، وبالقائمين به، فقد وردت عبارة "الذين آمنوا وعملوا الصالحات" في أكثر من خمسين موضعا في القرآن الكريم، كما ورد العمل مقترنا بصفة الصلاح في أكثر من أربعين موضعا آخر في القرآن الكريم.

٢- العمل السيء أو المعصية، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ ﴾ (غافر، الآية ٤٠)، وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ ﴾ (القصص، الآية ٨٤). وفي القرآن تحذير وتنفير من الوقوع في هذا النوع من العمل يقابل ويوازي الحث على العمل الصالح.

٣- العمل الدنيوي الخالص الذي لا يرتبط بنية أخروية، ولا يقترن بالإضرار أو الإفساد أو الإساءة، وهو ليس محرما في ذاته، وهذا عمل مباح تدعو إليه الضرورة، والقعود عنه مذموم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ ﴾ (الكهف، الآية ٧٩).

٤- قد يكون العمل دنيويا صالحا ونافعا ولكن القائم به يؤديه بنية سيئة منحرفة، إذ ليس لديه أصل الإيمان، إذ أنه هو لا يسير في حياته وفق منهج الله وشرعه ودينه، ولذلك فهو وبال على القائم به، يقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾

(الفرقان، الآية ٢٣)، ويقول:

٦- يمكن الجمع بين النية التعبدية الأخروية والنشاط المعيشي الدنيوي في عملٍ له سمة الأعمال العادية وطبيعتها؛ ولكن من حيث الجزاء له مثوبة العمل التعبدي وجزاؤه

عند الله، فقد قرن تعالى ذكر "الضرب في الأرض" ابتغاء فضل الله بذكر القتال في سبيله في قولـــــه تعـــــالى: ﴿ ۞ ۚ ۖ ۗ ۘ ۙ ۚ ۛ ۜ ۝ ۞ ۟ ۠ ۡ ۢ ۣ ۤ ۥ ۦ ۧ ۨ ۩ ۪ ۫ ۬ ۭ ۮ ۯ ۰ ۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸ ۹ ۺ ۻ ۼ ۽ ۾ ۿ ﴾ (المزمل، الآية ٢٠)، وقد ورد في ذلك حديث هو: "من بات كالا من طلب الحلال بات مغفورا له." وقد ضعّفه الألباني [١٠، جـ ٥، ص ١٨٠]، ولنا في الآية السابقة وما في معناها ما يغني ويكفي.

وهذا النوع من العمل مشروط بأن يكون ابتغاء للرزق من وجوهه المباحة المشروعة، ويكون بنية طيبة مشروعة، كإعفاف النفس والأهل، أو سد الحاجة عن مسألة الغير وعن الحاجة للغير، أو بنية الصرف مما يتحصّل منه في وجوه الخير المشروعة، أو الزواج، أو ما إلى ذلك.

والذي يتضح من أغلب الآيات التي ورد فيها لفظ "العمل،" أو أحد مشتقاته أن المقصود به العمل التعبدي الأخروي، أو ضده من المعاصي والآثام، إلا أن هناك عددا محدودا من الآيات أطلق فيها لفظ "العمل" على بعض الأعمال المهنية، كما في قوله تعـــــــــالى: ﴿ ۞ ۟ ۠ ۡ ۢ ۣ ۤ ۥ ۦ ۧ ۨ ۩ ۪ ۫ ۬ ۭ ۮ ۯ ۰ ۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸ ۹ ۺ ۻ ۼ ۽ ۾ ۿ ﴾ (سبأ، الآيتان ١٠- ١١)، وقوله: ﴿ ۞ ۟ ۠ ۡ ۢ ۣ ۤ ۥ ۦ ۧ ۨ ۩ ۪ ۫ ۬ ۭ ۮ ۯ ۰ ۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸ ۹ ۺ ۻ ۼ ۽ ۾ ۿ ﴾

(سـبأ، الآية١٣).

وورد مفهوم العمل في السنة النبوية تحت مسمى "السعي" كما في قوله صلى الله عليه وسلم: "الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله- وأحسبه قال- وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر" [١١، جـ ٣، ص ص ٢٢٨٦، ٢٢٨٧].

ثانيا: المهنة

أما بالنسبة للمهنة فإنها تعني- لغة- "الحذق بالخدمة والعمل ونحوه" [٥، جـ ٦، ص٤٢٩٠]. فالمهنة تعني المهارة في شيءٍ مخصوص، أو مجالٍ معين من مجالات العمل، فهي بذلك أخص من العمل، إلا أنه يتضح من بعض النصوص أن "العمل" و"المهنة" لفظان من الممكن أن يستعملا بالتناوب، فكأنهما مترادفان، ومثال ذلك الحديث: "كان الصحابة عمال أنفسهم" [١٢، جـ ٣، ص ٨] وورد الحديث نفسه بلفظٍ آخر: "كان الناس مَهَنَةَ أنفسهم" [١٢، جـ ١، ص ٢١٧].

والذي يظهر- للوهلة الأولى- من مراجعة معاجم ألفاظ وقواميس القرآن الكريم أن لفظة "مهنة"- بهذا المعنى- لم ترد في القرآن الكريم، وإن كان ورد بعض مشتقاتها، ولكن بمعانٍ أخرى، إلا أنه ورد فيه ذكر بعض المهن أو الأعمال المهنية، أو بعض متعلقاتها ولوازمها- أو الإشارة إليها- تحت ألفاظ أخرى، وذلك كما في الأمثلة الآتية:

- الزراعة والحراثة، حيث يقول تعالى:

(الواقعة، الآيتان ٦٣-٦٤).

• الصيد، كما في قوله تعالى: (المائدة، الآية ٩٤).

• صيد السمك، أو الصيد البحري، كما في قوله تعالى: (المائدة، الآية ٩٦).

• الرعي، يقول تعالى: (طه، الآية ٥٤).

• التجارة؛ حيث يقول سبحانه: (النساء، الآية ٢٩).

• صناعة السفن، والمسامير والنجارة، كما في قوله تعالى:

(هود، الآية ٣٨)، وكذلك قوله: ﴿ (القمر، الآية ١٣).

• الملاحـــــــة البحريـــــــة: ﴿

(الكهف، الآية ٧٩).

• الغـوص واسـتخراج الحلـي مـن البحـر كـاللؤلؤ وغـيره: ﴿

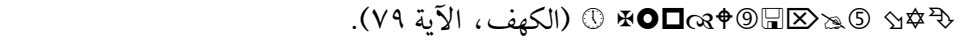

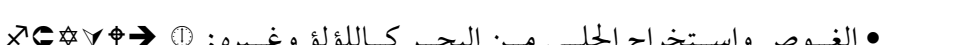

(الأنبيـاء، الآيـة ٨٢)، ويقـــــول تعـــــالى: ﴿

(النحل، الآية ١٤).

• النقـــــــل البحـــــــري: ﴿

(المؤمنين، الآية ٢٣).

• النقـل البـري: ﴿

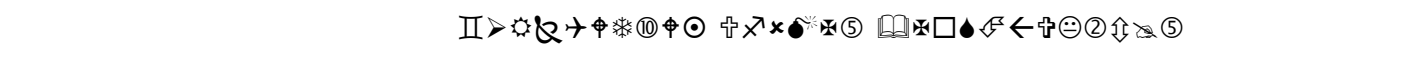

(النحل، الآية ٧).

• صناعة الجلود وغزل الصوف، وصناعة الأثاث والأمتعة من الصوف والوبر؛ يقول تعالى:

(النحل، الآية ٨٠).

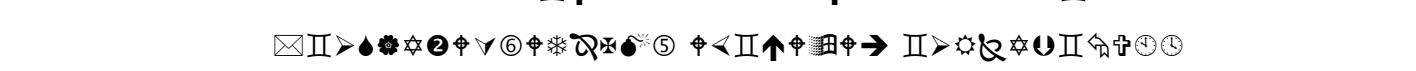

(النحل، الآية ٨١).

• الحدادة وصناعة السلاح:

(سبأ، الآيتان ١٠- ١١).

• البنـــــاء:
(الشعراء، الآيتان ١٢٨- ١٢٩).

• بنـاء الـسدود وصـناعتها مـن الحديـد أو غـيره: 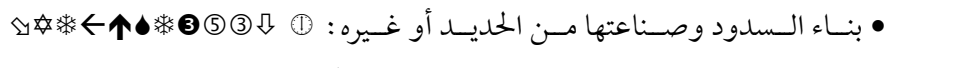
(الكهف، الآية ٩٦).

• نحـــــت الـــــصخور: 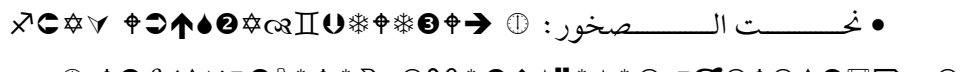
(الشعراء، الآية ١٤٩).

هذا بالإضافة إلى مهنٍ أخرى وردت الإشارة إليها في مواضع أخرى من القرآن الكريم [٤، ص ص ٢١٤- ٢١٦].

التفسير الإسلامي للعمل والمهنة

يتحدد مفهوم العمل المهني في الإسلام من خلال النظر إليه من زاويتين هما:

١- تفسير العمل بصفته سلوكا بشريا عاما، أو ظاهرة سلوكية تحتاج إلى تفسير شمولي مقنع.

٢- توجيه العمل بصفته جهدا بشريا مثمرا يحتاج إلى ترشيدٍ وضبطٍ وتوجيه لكي يكون في صالح الفرد والمجتمع.

وفيما يأتي بيان لهذين الأمرين:

أولا: تفسير العمل بصفته سلوكا بشريا عاما

إن العمل المهني في حقيقته سلوك ظاهر يخفي وراءه دوافع متباينة بحسب تباين الناس في أهدافهم وغاياتهم، وبحسب تنوع خلفياتهم الثقافية والحضارية، والعمل بشكله الظاهر يتشابه عند سائر البشر، ودوافعه المتباينة يمكن أن تصنف إلى اتحادات أو مجموعات من الدوافع أو الحاجات المعروفة، كدافع الأكل أو الشرب، والأمن، والتملك أو البقاء، أو غيرها. هذا إذا أردنا التفسير الأقرب أو الأسهل؛ لكن على فرض توافر هذه الحاجات، وبالتالي عدم بروز أيّ منها بصفتها دافعا يدفع الفرد نحو العمل، فهل يكتفي الإنسان بالقعود والاستمتاع بما يملك؟

الذي يظهر من التأمل في واقع الحياة البشرية أن الإنسان لا يمكن أن يظل ساكنا لا يتحرك، وأنه لا بد أن يعمل، وأنه ذو مطالب لا تنتهي، وأنه ما إن يحقق مطلبا حتى يبدأ العمل على تحقيق مطلب آخر، وأنه بدون عملٍ مثمر يفقد طعم الحياة ويفقد معناها ويتبرم بها، ويصيبه الملل والسأم منها، ولا ينفي هذه الحقيقة ما يعرض للفرد من فتراتٍ في حياته يتوقف فيها عن العمل لسبب من الأسباب، وهو توقف مؤقت أو اضطراري في غالب الأحيان.

إن نزوع البشر عموما إلى العمل والإنجاز هو ما حدا ببعض علماء النفس إلى تفسير السلوك الإنساني برمته بدافع مستقل عن الدوافع والحاجات السابقة الذكر. ذلكم هو "الدافع إلى الإنجاز" كما فعل ماك كليلاند McClelland، حيث عزا الظاهرة الإنسانية المتميزة والمتمثلة في "النشاط البنائي" إلى الدافع أو الحاجة إلى الإنجاز، وركز على هذه الحاجة بحيث أصبحت هي محور نظريته في الدافعية أو تفسير السلوك [١٣، ص ٢٤].

والذي يهمنا ونحن بصدد العمل المهني في الإسلام هو التفسير الإسلامي للعمل بصفته سلوكا بشريا عاما؛ يقول الله تعالى: ﴿ ⓘ 🏢✳✳📍🛏⑥✞☹🏢✳✈↗📍⑥

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (الانشقاق، الآية ٦)، يا أيها الإنسان، أي جنس الإنسان عامة؛ فهو كادح، والكادح هو العامل باجتهاد، ولا بد له أن يكدح بحكم ما أودعه الله سبحانه وتعالى من استعداد فطري جبلي نحو هذا الكدح، وسيلاقي نتيجة كدحه إن خيرا أو شرا [١٤، جـ ٩، ص ١١٥؛ ١٥، جـ ٤، ص ٣٩٨]. فالآية نص في أن جنس الإنسان يتصف بهذه الصفة، فمن طبعه الكدح والعمل والسعي.

وفي آية أخرى يقول سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ (البلد، الآية ٤)، وهي أيضا عامة لجنس الإنسان، خلقه الله في كبد، أي في شدة، يكابد هذه الحياة بما فيها من مسرات ومنغصات، أو كما اختار ابن جرير في تفسيرها: "إنه خلق يكابد الأمور ويعالجها" [١٦، مج١٥، جـ ٣٠، ص ١٩٨].

وفي أخرى يقول جل وعلا: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ (الليل، الآية ٤)، فالسعي الذي يقوم به بنو آدم شتيت متنوع يغطي كثيرا من مجالات العيش ومناحي الحياة.

ومن الأحاديث نجد قول النبي صلى الله عليه وسلم: "كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها" [١١، جـ١، ص ٢٠٣]. فالناس كلهم يغدون ويروحون ويعملون، فمنهم من يبيع نفسه بيعة رابحة يعتقها بها من المصير السيء؛ ومنهم من يوبقها في العذاب، والمهم هو أن هذا في كل الناس، فكلهم يغدون. ومعنى ذلك أن من طبيعتهم الحركة والعمل والسعي، وأن ذلك من فطرتهم التي فطرهم الله عليها، وهذا ما نص عليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مواضع كثيرة من كتبه انطلاقا من حديث آخرٍ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيه: "أحب الأسماء إلى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام،" رواه أبو داوود [١٧، جـ٥، ص٢٣٧] وصححه الألباني [١٨، جـ٣، ص ٩٣٥]. فقوله صلى الله عليه وسلم أصدقها حارث وهمام، أي أصدقها في

وصف حال الإنسان حارث وهمام؛ فمن طبعه أن يهم، والهم هو مبدأ الإرادة، ومن طبعه أن يحرث، أي يتحرك ويعمل ويسعى، وفي ذلك يقول ابن تيمية: "فإن الإنسان حساس متحرك بالإرادة، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: أصدق الأسماء الحارث وهمام... فإن الإنسان لا بد له من حرث؛ وهو العمل والحركة والإرادة، ولا بد له من أن يهم بالأمور؛ منها ما يهم به ويفعله، ومنها ما يهم به ولا يفعله" [١٩، جـ٨، ص٤٥٧]. ويقول أيضا: "وقوله: أصدق الأسماء: حارث وهمام؛ لأن كل إنسان همام حارث، والحارث الكاسب العامل، والهمّام الكثير الهم- وهو مبدأ الإرادة- وهو حيوان، وكل حيوان حساس متحرك بالإرادة" [٢٠، جـ ٧، ص ٤٣].

ومن ذلك كله يتبين لنا أن الإنسان في عمله المهني إنما يستجيب لفطرة مغروسة في خلقته وطبيعته من لدن الخالق البارئ جل وعلا. ويعني ذلك أن هذا الرصيد الفطري هو أهم عنصرٍ يمكن أن يوظف في الترغيب في العمل والجد فيه، ومن ذلك تتبين لنا حقيقة التفسير الإسلامي للعمل بصفته سلوكا بشريا عاما يلبّي ميلا أو اندفاعا فطريا نحو الإنجاز تنطوي عليه طبيعة الإنسان.

ولكن الإسلام في نظرته الشمولية إلى الإنسان وتفسير سلوكه لا يقتصر على الاعتراف بدافع واحدٍ من دوافع الفطرة يفسّر بها ميل الإنسان نحو العمل والحركة والنشاط، فلا يفسر ذلك بدافع الإنجاز فقط، وهو دافع فطري كما أسلفنا، ولكنه يعترف بكل دوافع الفطرة، ومنها دافع التملك، وهو دافع فطري كذلك. ولا شك أنه من الدوافع القوية في تحريك السلوك البشري، وله دور كبير في تحريك الإنسان نحو العمل، لأن العمل وممارسة المهنة سبيل إلى تحصيل "المال" وميل الإنسان نحو التملك، أو الحصول على المال إنما هو بدافع فطري، كما صرحت بذلك الآيات والأحاديث الكثيرة. ونكتفي بذكر دليلين منها- خوفا من الإطالة- فمن القرآن قوله تعالى: ﴿ ﴾

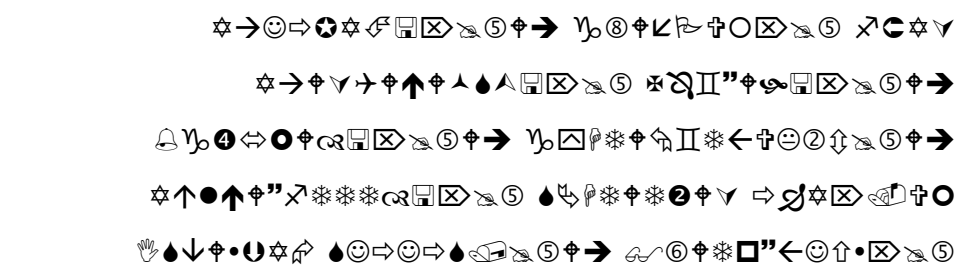

(آل عمران، الآية ١٤)، ومن السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب" [١٢، جـ٧، ص ١٧٦؛ ١١، جـ١، ص ٧٢٥].

ومن خلال ذلك تتضح لنا حقيقة النظرة الإسلامية لميدان العمل والمهنة، وأن الإسلام إنما يؤسس تشريعات العمل ويضع له المبادئ والقيم من واقع نظرته الشمولية للجهد البشري في مجال العمل بصفته جزءا من حركة الإنسان الدائبة التي هي جزء من فطرته وخلقته الجبلية، فهو كائن متحرك ومخلوق "كادح،" لا ينفك عن إرادة تحركه، ولا يخلو من طاقة تنطوي عليها تركيبته النفسية والبدنية، فهي تحتاج إلى توجيه يحفزه إلى صرف ذلك فيما يعود عليه بالخير، ويحول بينه وبين صرف هذا الجهد وتلك الطاقة فيما يعود عليه بالوبال. ومن هنا جاءت تعاليم الإسلام مبنية على هذا الأساس، منسجمة مع طبيعة الإنسان، موجِّهة له لاستغلال هذه الطاقة واستثمارها إلى أقصى حد، وإحاطتها بسياجٍ من المبادئ والقيم السامية التي تحول دون إهدار الجهد البشري، أو صرفه فيما لا يعود عليه بالنفع فردا أو جماعة.

ثانيا: توجيه العمل بصفته جهدا بشريا مثمرا

ينبثق النظر إلى العمل المهني في الإسلام من تصورات عامةٍ ومفاهيم شاملة تضفي عليه قيمة سامية وتصبغه بسمة الشمول والأهمية، ومن أهم هذه المفاهيم:

١- مفهوم الاستخلاف في الأرض وعمارتها على منهج الله.

٢- مفهوم العبادة بمعناها الشامل.

إن العمل المهني في التصور الإسلامي ينبغي أن يكون في إطار هذين المفهومين، وضمن حدودهما؛ حتى وإن كان المقصود الأدنى منه كسب الرزق وسد الحاجة الناقصة؛ ولا تعارض بين الأمرين، وبيان ذلك كما يأتي.

١- العمل ومفهوم الاستخلاف في الأرض وعمارتها على منهج الله. إن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق لحكمة بالغة، وجعلهم خلائف في الأرض يخلف بعضهم بعضا جيلا بعد جيل، وسخّر الأرض وما فيها، وذلّلها لهم، وأمدهم بكنوزها وذخائرها، وأمدّهم سبحانه وتعالى في مقابل ذلك بطاقات كامنةٍ في ذوات نفوسهم ليعمروا هذه الأرض، ويستخرجوا هذه الكنوز بهذه الطاقات والإمكانات والمواهب الذهنية والعضلية؛ يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة، الآية ٣٠). ويعلق سيد قطب رحمه الله في *ظلال القرآن* على هذه الآية بقوله:

إذن فهي المشيئة العليا تريد أن تسلم لهذا الكائن الجديد في الوجود زمام هذه الأرض وتطلق فيها يده، وتكل إليه إبراز مشيئة الخالق في الإبداع والتكوين، والتحليل والتركيب، والتحوير والتبديل، وكشف ما في هذه الأرض من قوى وطاقات، وكنوز وخامات، وتسخير هذا كله- بإذن الله- في المهمة الضخمة التي وكلها الله إليه، وإذن فقد وهب هذا الكائن الجديد من الطاقات الكامنة والاستعدادات المذخورة كفاء ما في هذه الأرض من قوى وطاقات وكنوز وخامات، ووهب من القوى الخفية ما يحقق المشيئة الإلهية. وإذن فهناك وحدة أو تناسق بين النواميس التي تحكم الأرض- وتحكم الكون كله- والنواميس التي تحكم هذا المخلوق وقواه وطاقاته؛ كي لا يقع التصادم بين هذه النواميس وتلك، وكي لا تتحطم طاقة الإنسان على صخرة الكون الضخمة. وإذن فهي منزلة

عظيمة، منزلة هذا الإنسان في نظام الوجود على هذه الأرض الفسيحة، وهو التكريم الذي شاءه له خالقه الكريم [٢١، جـ١، ص٥٦].

وقد ابتلى سبحانه بني آدم في استثمار هذه الطاقات الكامنة في الأرض والطاقات الكامنة في ذوات نفوسهم؛ هل يكون استثمارا في طاعة الله؟ أم يكون استثمارا في معصية الله ؟ وهل عمارة الأرض تكون على منهج الله؟ أم على منهج غيره؟ من هوى أو شيطان؟

يقول سبحانه: ⓵ ➔⌖⬋♦⬆⌖ ⑤⌂☞⌦✞⌂☼✡⬀ ☌⌖⬁⌖⌫✞❁♦➢⬄

⌖·⌫✞❄❄⁋═▫✠☀♦⬀⇨ ⑤⌂⇳②✞☺☺⦿♊⌑✠ ➔⌖⦿⌖⮳❄⌖⮱⌖

⑩❄⌖⬁♊✪⌖⮷☼➢⬄ ⮳❄⌖⬄⌘⌖ ⑩❄⌖⬁♊⟐♦ ·⌖⦿⌖☌⌖❄⁋❶⌧

⮽☼⁊❞❄⌖❄⑨♊⌫❄♦⬆⌖❁♦➢⬄ ⓵ ⋎⌖⑥💻 ⇩③⑤❸❄⌖▫⁋⮷☼⮹🔔◘

⑤✠☀⊃⌖✈ ⦿⌖⑩❄⌖✈⍉⇨ ✦⌖O✠▦⬀♦ ⑤⌂⌧🖫⬁✡⍉⌖⑥⑦♑

➔⌖⑤☀✠←❄✞☞⇖♦✋ ⌦✞⬁←⌖✍♦⬆⦿♍ ⦿⌖✈⌁✡❞➢♦🖬 ⓵

(الأنعام، الآية ١٦٥)، ويقول: ⓵ ❼☼➢⌖✈ ⬄➢⮷⁋❄❄⌖⬁⌖⌫🖫❶⌖❄❄⁋⮷☼➢⬄

⌖·⌫✞❄❄⁋═▫✠☀♦⬀⇨ ⓵ ⑤⌂⇳②✞☺☺⦿♊⌑✠ ⋎✡⬅✍

⑩❄⌖⬁♊·✡⬋✡➢⬄ ⌧✡❶⌖❶⊕⊙⇧O⌖ ⍉❄⇨❞♊⬀⇨

❸❄⌖⬁♊⮙⌖⌫❄♦⬆⊃⌖ ⓵ (يونس، الآية ١٤).

ولذلك يرتبط معنى "عمارة الأرض" بتوحيد الله وعبادته وحده دون سواه، وذلك بأن تكون هذه العمارة على منهج الله وشرعه، كما جاء في قوله تعالى: ⓵

➔⌖⑤✠☀⌦✞⬂◆ ❼❄✞⮙♦⬆·⌖ ⑤✞☺·⌖⑥⬋♦➢⬄ ✧⌖❄⁋❄⌫✡♌♉⑥🕮

⮾❄⌖⑥⍉⌖ ▦❄⌖❄⁋⍉⌖❄⬆⬄⌘✡ ⑤⌂⮫♊❄⑨♦•♦➔⑤☠ ⑤⌂🖃⌖⇨☺

⑥⌖⋎ ⌦✞⮷☼◰ ⋎✈✡⬅⬄ ⑤☀✠⌦✞❄⁋⮰❁ ⮫←❄⌖❄⅋♊⦿♦⬇♦☙✋

⬋♦⬆⌖ ⑤☺✞←✹⌖⑥✞☺❁♦➢ ⋎✡✈⬅⌖ ⑤⌂⇳②✞☺☺⦿♊⌑✠

➔⌖⑤⌂✦❄◘❷⌖⬁♊⮙⌖O⌖❁♦◰♊ ⮳✡❞⮥❄⌖⑥

⮳❄⌖⑥⌂✦❄◘❷⌖⬁←❄◘⬁✡O♦➔⬇♦ ❼❄☼◰⇨☺

[illegible] (هود، الآية ٦١). ويقول الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله في تفسير قوله: [illegible]: "أي استخلفكم فيها وأنعم عليكم بالنعم الظاهرة والباطنة، ومكنكم في الأرض تبنون، وتغرسون، وتزرعون، وتحرثون ما شئتم، وتنتفعون بمنافعها، وتستغلون مصالحها، فكما أنه لا شريك له في جميع ذلك، فلا تشركوا به في عبادته" [٩، جـ ٣، ص ٤٣٦].

ويرتبط بمعنى "الاستخلاف" و"عمارة الأرض" التسخير؛ فالله سبحانه وتعالى قد سخر لعباده ما في السموات وما في الأرض؛ كما قال سبحانه: [illegible] (الجاثية، الآية ١٣).

والتسخير هو التذليل كما قال سبحانه: [illegible] (الملك، الآية ١٥).

ويتضح من الآيات التي ورد فيها ذكر التسخير أنه يتضمن تعداد الموارد التي حبانا الله إياها في هذا الكون، وأنها مذّللةٌ مقيّضةٌ لنا - بني البشر - لكي نبذل وسعنا في استثمارها واستغلالها. وكذلك يتضمن ذكر النعم والمخلوقات المسخرة لنا، وقد يقترن ذلك بذكر منفعة معينة، أو عمل مهني معين، بشكل تفصيلي واضح؛ كما في قوله تعالى: [illegible]

⑥♉♙♊♋✞⌧ ♦♖♊❶✲♈ ☠⑤♠♦❄⌫♦❁☹🖫⑥✦❷✲⌧
♦♖♊❶✲♈ ☠⑤♠♦♋✠❍◘♋✦❷◘❄♙✦❄❸✦➔ ⑥✈♈'❄▦✠❍✞🕓
✓✦❍✦❄❸✦➔ ⑥✦↗✦❄←♠♦♙✦⑨🖃⌫✦❄❸ ♈→❄✦❄"🖫⌫✲🖋
✲♖"✲🖎 ✦❍✲·⑤✦♠✦♈ ⇨🖋🖫⌫♦🖋🖫⌧⑤
➔✦⌧✲♋◘✪✦❄🖎 ⊂✲♈ ☠⑤♠♦←🡐✦❄❷♊❄⑨✦❄❷✲⌧✦➔
➔✦⌧✞✦🡐⌫✦♉♊✸✦❄❸ ♊➢♦❁🖙✞⌫✦🡐✞⌧✦➔ 🕓 (النحل، الآية ١٤).

ومن خلال ما سبق يتضح أن معنى الاستخلاف وعمارة الأرض إنما يتم ببذل الجهد الذهني والعضلي من خلال العمل والممارسة المهنية التي تتم في جنبات الأرض، وفي ثنايا الموجودات المسخرة للإنسان، والمخلوقات المقيضة له ليحقق بذلك عمارة الأرض وفق منهج الله الذي شرعه للحياة؛ هذا من حيث الأصل والغاية. أما من ناحية الواقع فربما ارتقى الفرد في كدحه وعمله إلى أن يكون محققا لمنهج الله في نفسه وفي الحياة من حوله، وربما هبط في كده وعمله إلى أن يكون محاربا لمنهج الله ودينه وشرعه الذي شرعه لصلاح عباده، وربما كان في عمله في منزلة من المنازل المتعددة بين هذين النقيضين.

٢- العمل ومفهوم العبادة بمعناها الشامل

إن الله سبحانه وتعالى يقول: 🕓 ➔✦♈✦⑥·✲❄✦♙♊❶⇧
⑤✍🖫❿✲♈✦➔ ✈✦❍✍⇳✲💣✠⑤✦➔ ⇨□←②✠💣②☞✞①②
⌧✲"✦🡐♙❄⑨♦•♦➔➲✲ 🕓 (الذاريات، الآية ٥٦)، فهل المقصود بالعبادة هنا معنى خاص بالفرائض والواجبات التعبدية؟ أي العبادة بمعناها الخاص، إذا فهمنا منها ذلك لزمنا أن لا نعير بالا لأي عملٍ آخر غير أداء العبادات المفروضة والواجبة (الشعائر التعبدية)، لأننا ما خلقنا إلا لعبادة الله كما تنص الآية. إذا لا بد من أن يكون فهمنا للآية منسجما مع فهمنا لمعنى الاستخلاف في الأرض وعمارتها على منهج الله، فحينما يعمر الكون وفق منهج الله، فإن ذلك يعني أن العمل في مجال عمارة الكون هو من عبادة الله هذا بشكلٍ عام؛ والعمل المهني في الغالب يتضمن بذل جهدٍ بدني أو عقلي بقصد التعمير والبناء.

وبالنسبة لشمول العبادة في الإسلام لمناشط الحياة كلها، فأحسب أن هذا الأمر من الوضوح والشهرة بحيث لا يحتاج إلى تفصيل، ولذلك يتعين الاكتفاء ببعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث يقول: "وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله! أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر" [١١، جـ١، ص ص ٦٩٧، ٦٩٨].

والعمل المهني كذلك، إذ أن طلب الرزق من وجوهه المباحة المشروعة مما يؤجر عليه المرء كما أنه لو طلب الرزق بالطرق المحرمة لكان بذلك آثما عاصيا لله. عن ابن عمر رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لعنت الخمر على عشرة أوجه؛ بعينها، وعاصرها، ومعتصرها، وبائعها، ومبتاعها، وحاملها، والمحمولة إليه، وآكل ثمنها، وشاربها، وساقيها" رواه ابن ماجه، وصححه الألباني [٢٢، جـ٢، ص٢٤٣]. وقال صلى الله عليه وسلم: "لعن الله آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه،" رواه أحمد في *مسنده*، وصحح إسناده أحمد شاكر [٢٣، جـ٥، ص ٢٤٧]. فالاشتغال بالمحرمات- أيا كانت- تسويقا أو تصنيعا، أو مهنة، أو كتابة وتوثيقا، أو ما إلى ذلك كله محرم؛ وفي مقابل ذلك ورد في فضل العمل والكسب الحلال نصوص كثيرة؛ منها قوله صلى الله عليه وسلم: "إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة" [١١، جـ١، ص ٦٩٥]. وقوله: "الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله- وأحسبه قال- وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر" [١١، جـ٣، ص ص ٢٢٨٦، ٢٢٨٧].

بل إن العمل مسؤولية واجبة على القادر عليه، وتحملها من الواجبات الدينية التي يأثم الإنسان بتركها والتخلي عنها، كما قال صلى الله عليه وسلم: "كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت،" رواه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي [٢٤، جـ١، ص٤١٥؛ جـ٤، ص ص ٥٠٠، ٥٠١].

ومن ناحية أخرى، يرتبط العمل في سبيل الرزق والكسب بالممارسة التعبدية، ويقترن بها في انسجام تامٍ بين أمر الدنيا وأمر الآخرة. نجد ذلك في الأمر بالانتشار في الأرض

للارتـزاق والابتغـاء مـن فـضل الله بعـد أداء الـصلاة، حيـث يقـول تعـالى: ﴿
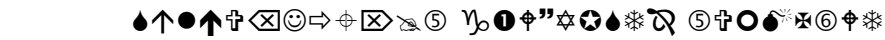

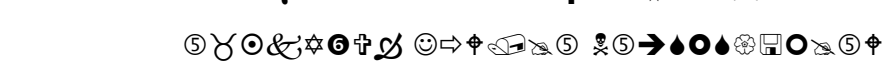
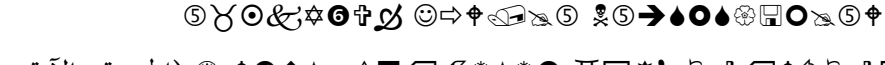
﴾ (الجمعة، الآية ١٠).

ومما يلفت النظر في هذه الآية أن العمل في سبيل الرزق واقع بين عبادتين فقبله أداء الـصلاة، وبعـده- وأثنـاءه- ذكـر الله: ﴿
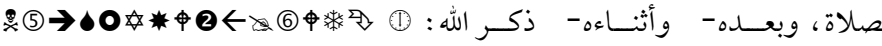
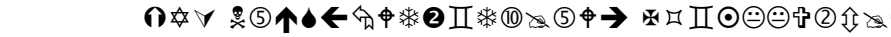

﴾. اذكروه في قلوبكم، وعلى ألسنتكم، وفي تعاملكم، اذكروه فيما أحل وفيما حرّم، واذكروه فيما تأخذون وما تتركون مما أحل ومما حرم، اذكروه في القيام بما يحب من الإتقان في العمل، وإخلاص النوايا والمقاصد والنصح والصدق والوضوح، وفي ترك ما يكره من الغش والتدليس، واليمين الفاجرة، وأكل أموال الناس بالباطل. فهنا نجد العمل المهني محفوفا بالأوامر والممارسات التعبدية، داخل فيها؛ بل هو جزء منها إذا تحقق فيه ذكر الله على الوجه السابق ذكره آنفا.

وفي موضعٍ آخر نجد- في سياق واحد- نوعا من التلازم في الحث على النوعين من العمل، العمل المهني والعمل التعبدي الصالح، ذلك في قوله تعالى: ﴿

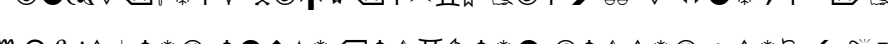
﴾ (سبأ، الآية ١١). فبعد التوجيه إلى عمل الدروع السابغات، أي الكاملات، يأتي مباشرة التوجيه إلى عمل الطاعات بقوله: ﴿
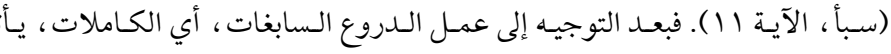

✧✦❄✡⌫☯⑥ ؛ أي- كما يقول جرير- "اعمل يا داوود أنت وآلك بطاعة الله" [١٦، مج١٢، جـ٢٢، ص ٩٨].

وهذا- وغيره- يدل على أنه لم يكن ثمة تعارض أو تنافر أو انفصال بين العمل التعبدي والعمل في سبيل الرزق، أو العمل الاجتماعي بمختلف أنشطته ومجالاته، ويوضح ذلك الأستاذ محمد قطب بقوله:

الصلاة والنسك عبادة، والكدح عبادة، سواء كان كدحا سياسيا أو اجتماعيا أو اقتصاديا أو فكريا أو علميا... إلخ. والترويح عن القلوب لكي لا تكل ولا تمل عبادة. فأما الصلاة والنسك فأمر العبادة فيها واضح لا يحتاج إلى بيان. وأما الكدح فقد كان الأمر فيه واضحا تماما للجيل الذي رباه رسول الله صلى الله عليه وسلم على عينه؛ الذين كانوا يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم... كان الكدح- وهو العمل في واقع الحياة- هو العبادة الدائمة التي يقوم بها المسلم، والتي يتزود- من أجل القيام بها- بذلك الزاد الروحي العميق الذي تمنحه إياه الشعائر التعبدية حين يقوم بها على صورتها الحقة، من الخلوص إلى الله والتجرد إليه، والخشوع، والخشية، والإخبات [٢٥، ص ٢٠٤].

وبعد: فهذا هو الإطار النظري العام الذي تستنبط في ضوئه الأسس الإسلامية للتربية المهنية؛ ولكن قبل ذلك نعرض لذكر شيءٍ من المبادئ والقيم التربوية الإسلامية المتعلقة بالعمل والمهنة؛ وهي- أيضا- ذات مساسٍ كبير بالأسس التربوية المهنية؛ وعرضها هنا له أهمية خاصة فيما يتعلق بتحديد تلك الأسس وإبرازها، ونقّدم لذلك بذكر شيء عن التربية المهنية والتوجيه والإرشاد المهني في التربية الإسلامية.

التربية المهنية في الإسلام

تتبوأ التربية المهنية موقعا هاما على خريطة التربية في الإسلام، فالتربية الإسلامية تولي هذا الجانب عناية كبيرة، وذلك لما للعمل والسعي وبذل الجهد- ابتغاء فضل الله- من أهمية في ميزان الله، كما صرحت بذلك الآيات والأحاديث التي سبق ذكر شيءٍ منها. ولذلك فإن اكتساب الأفراد للمعارف والمهارات الضرورية لممارسة العمل تكون لها ذات

الأهمية ؛ ومن هنا ، فإن بعض الفقهاء اعتبروا تعلم المهن اللازمة "لقيام مصالح الدنيا" داخل في فروض الكفاية طالما أن وجود من يقوم بهذه المهن في المجتمع فرض كفاية. يقول الإمام النووي رحمه الله بعد أن قسم العلم الشرعي إلى ثلاثة أقسام ، "فرض عين" و"فرض كفاية" و"نفل" ؛ حينما فصل القول في القسم الثاني "فرض الكفاية" قال : "وأما ما ليس علما شرعيا ، ويحتاج إليه في قوام أمر الدنيا ، كالطب والحساب ففرض كفاية أيضا ، نص عليه الغزالي ، واختلفوا في تعلم الصنائع التي هي سبب قيام مصالح الدنيا كالخياطة والفلاحة ونحوهما. اختلفوا أيضا في أصل فعلها ، فقال إمام الحرمين والغزالي ليست فرض كفاية ، وقال الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري- المعروف بالكيا الهراسي صاحب إمام الحرمين- هي فرض كفاية ، وهذا أظهر" [٢٦ ، ص ص ٢٦ ، ٢٧].

وهذا الذي ذكره- رحمه الله- إنما يقصد به تعلم فن الصناعة أو المهنة ، أي القيام بها على وجهها الصحيح من الناحية المهنية البحتة. ولا ريب أن التربية المهنية في الإسلام لا تقتصر على هذا الجانب ، وإنما يدخل فيها التربية على مبادئ وقيم عامة ، ويدخل فيها ما يتعلق بالحلال والحرام ، وأحكام الغش والتدليس والمعاملات عموما ، وهذه الأمور تدخل في "فرض العين" لأنها مما لا يتم أداء الواجب إلا به ، وما لا يتم أداء الواجب إلا به فهو واجب ، كما هو مقرر في الأصول والقواعد الشرعية [٢٦ ، ص ص ٢٣- ٢٧].

وقد كان التعليم المهني في العهود الإسلامية الأولى ينتقل من جيل إلى جيل عن طريق توريث المهارة من جيلٍ سابقٍ إلى جيلٍ لاحقٍ ، حيث يتلقاها الأبناء عن الآباء بشكل فردي يتم فيه تبادل الخبرة عن طريق الاحتكاك والتعليم المباشر. ولذلك اشتهر المهاجرون بالعمل في التجارة ارتحالا في الأسفار ، أو صفقا في الأسواق ، فهي مهنة متداولة بينهم يتلقاها صغارهم عن كبارهم ، كما اشتهر الأنصار بالزراعة ، وما ينوبها من السقي ، والحرث ، والبذر ، والحصاد ، والذرو ، وتأبير النخل ، وما إليه ، وهي كذلك مهارات مهنية يورثها الكبار للصغار تعليما وتدريبا وامتهانا. ويوضح ذلك قول أبي هريرة رضي الله

عنه: "وإن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم صفق في الأسواق وكنت ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني فأشهد إذا غابوا وأحفظ إذا نسوا وكان يشغل إخوتي من الأنصار عمل أموالهم وكنت امرءا مسكينا من مساكين الصفة أعي حين ينسون" الحديث [١٢، جـ٣، ص ص ٢، ٣]. ويوضح ابن حجر رحمه الله– معنى قوله "عمل أموالهم" بقوله: "فإن المراد بالعمل الشغل في الأراضي بالزراعة والغرس" [٢٧، جـ٥، ص٢٨]، وشهرتهم بذلك أصبحت في حكم المتعارف عليه. ولعل مما يوضح ذلك قول الأعرابي في الحديث الذي أخرجه البخاري، "عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما يحدث- وعنده رجل من أهل البادية- أن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع فقال: أو لست فيما شئت؟ قال: بلى ولكني أحب أن أزرع؛ فأسرع وبذر، فتبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال؛ فيقول الله تعالى: دونك يا بن آدم فإنه لا يشبعك شيء؛ فقال الأعرابي: يا رسول الله لا تجد هذا إلا قرشيا أو أنصاريا فإنهم أصحاب زرع فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم" [١٢، جـ٨، ص ٢٠٦].

وقد كان هذا هو شأن التعليم المهني في زمن البعثة النبوية وما قبلها، ولما بعث صلى الله عليه وسلم إلى الناس بهذه الرسالة الشاملة لشؤون الدنيا والآخرة وأمور العبادات والمعاملات، وتولى صلى الله عليه وسلم تربية المؤمنين على هذا الدين الكامل الشامل كان من تربيته للناس جهدا موجها للجانب المهني، ولا سيما بعد الهجرة وإرساء قواعد المجتمع المسلم، حيث ربّى الناس بالقدوة على الالتزام الخلقي، والأمانة والإخلاص، والنصح في العمل، وقد كان أسوة حسنة في كل خلق قويم، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ ☺⇨✡✍⑤ ✡♈♦✦⊙ ⏲ ⇔➢☼♐✞⌧ ⌖➲⑥✞♌ ♊•❄⌖♈✞⌦⌧ ⌖➲⑥✞♌ ∩⌖⅄⌦✡⌧ ♌→⌖⏻❄⌖⅄⌖ ♎↑⌖♈❄♊✦☼☺⑤ ⌖➲⑥✞♌ ⌖➢⇔♈❄⌖"🖫⌧✍⑤⌖➔ ⌖☺⇨✍✍⑤ ☠⑤♈♦ᘓ⇔❿⌖❄▥ ⑤✍①②✍·✡❿❄⌖ ⏲ (الأحزاب، الآية ٢١)، وكما قال تعالى: ﴿ ➔⌖⑤✙←●✠⑤⌖➔ ⇨♌⌦✞⌧⌖✞⌧ ◆◺✞⌧⌖✞⌧ ·♦❄⌧◪♦ ✍⌖◷◷✡"⌧⌅ ⏲ ⌧

(القلم، الآية ٤)، وقد مارس صلى الله عليه وسلم أعمالا مهنية، وكان يقوم بها بأمانة وإخلاص ونصح، وقد تاجر في أموال خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ؛ وكان الذي دفعها إلى أن تعهد إليه بمالها يتاجر به هو أمانته وخلقه، حيث كان يسمى قبل البعثة بمحمد الأمين. ومارس كذلك مهنة الرعي، وهي مهنة إخوانه من الأنبياء، كما أخبر عنهم وعن نفسه بقوله: "ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم، فقال أصحابه: وأنت، فقال: نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة" [١٢، جـ٣، ص ٤٨].

ولم يكتف صلى الله عليه وسلم بالتربية على المهنة عن طريق القدوة، وإنما كان يسلك طرقا علمية وعملية أخرى في تربية المجتمع المسلم الأول على حب العمل المهني وتقديره والعناية به، كما كان يربيهم على تبني المواقف الإيجابية تجاه العمل المهني، وعلى الممارسة المهنية المنضبطة بالضوابط والأحكام الشرعية والأداء الملتزم بالخلق القويم، وكان يوقفهم على ذلك بطريقة عملية تطبيقية، ويوجه كل فرد منهم إلى ما يناسبه من الأعمال، كما سيأتي ذكر الأمثلة على ذلك.

أما ما يتعلق بالمهارة المهنية التخصصية المتعلقة بالمهن المعينة فقد استمر التعليم المهني بشأنها أمرا ينتقل من ذوي الخبرة فيها إلى من بعدهم من أبنائهم وأتباعهم أو غيرهم. وكان هذا التعليم متروكا لأهل الخبرة فيها، كما يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم بشأن تأبير النخل فيما أخرجه مسلم عن أنس رضي الله عنه "أن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ بقوم يلقحون، فقال: لو لم تفعلوا لصلح، قال: فخرج شيصا، فمرّ بهم فقال: ما لنخلكم؟ قالوا: قلت كذا وكذا، قال: أنتم أعلم بأمر دنياكم" [١١، جـ٢، ص١٨٣٦].

ولكن ذلك لم يكن مطردا في كل الحالات ؛ ففي الأعمال المهنية التي تمارس عادة من قبل غالبية الناس بصفتها مهارات مشتركة وليست خبرة تخصصية ذات نطاق ضيق نجد أنه صلى الله عليه وسلم كان يربي على الأداء المهني السليم ؛ ومن ذلك مثلا تعليمه للغلام كيفية السلخ بطريقة صحيحة (وسيأتي نصه) وتعليمه للإطار الأخلاقي الذي ينبغي أن تتم خلاله عملية الذبح وتنبيهه إلى الاستعداد للذبح بالعدة اللازمة، حيث يقول: "إن

الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، فليرح ذبيحته" [١١، جـ٢، ص ١٥٤٨].

وكان صلى الله عليه وسلم يهذب ممارستهم المهنية، ويصحح لهم أخطاءهم فيها؛ ومن ذلك قوله لأم عطية الأنصارية الخاتنة: "لا تنهكي فإن ذلك أحظى للمرأة وأحب إلى البعل" رواه أبو داوود، وصححه الألباني [١٨، جـ٣، ص ٩٨٩]؛ أي لا تبالغي في القطع عند ختان الإناث الصغار.

وفي إطار هذه الضوابط والأحكام والأخلاقيات الشرعية المنظمة للعمل المهني نشأ الصحابة على ممارسة المهنة والقيام بها بأمانة وإخلاص وإتقان ونصح، كما نشأوا على الموازنة بين متطلبات الحياة الدنيوية والحياة الأخروية؛ كما قال قتادة: "كان القوم يتّجرون ولكنهم كانوا إذا نابهم حق من حقوق الله لم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله حتى يؤدوه إلى الله" [١٢، جـ٣، ص ٧].

وقد كان كبار الصحابة يحترفون ويمارسون المهن؛ ومن ذلك أن أبا بكر رضي الله عنه- كما روى ابن ماجة من حديث أم سلمة- "خرج تاجرا إلى بصرى في عهد النبي صلى الله عليه وسلم" [٢٧، جـ٤، ص ٣٠٥]. وأخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: "لما استخلف أبو بكر قال: لقد علم قومي أن حرفتي لم تكن تعجز عن مؤنة أهلي وشغلت بأمر المسلمين فسيأكل آل أبي بكر من هذا المال وأحترف للمسلمين فيه" [١٢، جـ٣، ص ٨]. وفي تفصيل ذلك قال ابن حجر: "فروى ابن سعد بإسناد مرسل رجاله ثقات قال: لما استخلف أبو بكر أصبح غاديا إلى السوق على رأسه أثواب يتجر بها، فلقيه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح قال: كيف تصنع هذا وقد وليت أمر المسلمين؟ قال: فمن أين أطعم عيالي؟ قالوا: نفرض لك، ففرضوا له كل يوم شطر شاة" [٢٧، جـ٤، ص٣٠٥].

أما عن احتراف عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فيوضحه قوله حينما استأذن عليه أبو موسى الأشعرى "وكأنه كان مشغولا، فرجع أبو موسى، ففرغ عمر، فقال: ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس ائذنوا له، قيل: قد رجع، فدعاه فقال: كنا نؤمر بذلك، فقال: تأتيني على ذلك بالبينة، فانطلق إلى مجلس الأنصار فسألهم، فقالوا: لا يشهد لك على هذا إلا أصغرنا أبو سعيد الخدري، فذهب بأبي سعيد الخدري، فقال عمر: أخفي علىّ من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألهاني الصفق بالأسواق، يعني الخروج إلى تجارة" [١٢، جـ٣، ص٧].

وكذلك عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يعمل في التجارة، وكذلك عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه أيضا، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يحترف، وكان يحمل "الإذخر"على جمله يبيعه، والإذخر نوع من الحطب [١٢، جـ٣، ص٨٠].

وغيرهم من الصحابة، ولا يتسع المجال لسرد الشواهد الدالة على ذلك، والمقصود من ذلك أنهم في ممارستهم هذه كانوا يتلقون تربية نبوية على أصول ممارسة المهنة ومبادئها، وأحكامها، وأخلاقياتها. وكان صلى الله عليه وسلم يبعث في نفوسهم حب المهنة وتقدير العمل، ويغرس في واقعهم الاتجاهات الإيجابية الثابتة نحو العمل المهني والسعي في طلب الرزق من وجوهه المباحة الحلال؛ ويلخص هذا التأثير التربوي النبوي في نفوسهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله: "إني لأرى الرجل فيعجبني، فأقول: أله حرفة؟ فإن قالوا: لا سقط من عيني" [٢٨، جـ٤، ص١٢٣].

وإذا أمعنا النظر في تربية النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه وجدنا أنه أعطى التربية المهنية عناية بالغة، وذلك لما للتعود على ممارسة المهنة ومباشرتها بطريقة سليمة من آثارٍ نفسية ومادية طيبة على الفرد ومن تحت يده، وآثارٍ اجتماعية ومادية على أفراد المجتمع؛ ويمكن أن نحدد أهم مضامين التربية المهنية النبوية في الأمور الآتية:

١- غرس المبادئ العامة في النفوس؛ وهي مبادئ ضرورية لمباشرة العمل المهني، مثل مبدأ الاعتماد على النفس بعد الله سبحانه وتعالى، ومبدأ بذل الجهد مع التوكل على الله في طلب الرزق، وغيرها من المبادئ الهامة، وسنأتي على ذكر شيء منها.

٢- التعويد على التخلق بالقيم والأخلاق والآداب الضرورية لممارسة العمل المهني، وهي أخلاق وصفات لا بد منها لجودة العمل، وتصحيح سلوك الفرد العامل، سواء في بيئة المهنة التي يمارسها، أو في نطاق المجتمع الذي يعيش فيه، وهذه أيضا سيأتي تفصيل لها.

٣- التربية على مباشرة العمل المهني بطريقة صحيحة، وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم في تربيته للصحابة لم يقتصر على الناحية النظرية في تعليمه، وإنما كان يربيهم على ممارسة المهنة عمليا، ويوضح لهم الطرق الصحيحة للقيام بالأعمال المهنية. ونذكر بهذا الخصوص شاهدا على ذلك من فعله، وهو ما أخرجه أبو داوود وابن ماجة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بغلامٍ يسلخ شاة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: تنحّ حتى أريك، فأدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يده بين الجلد واللحم، فدحس بها حتى توارت إلى الإبط، وقال: يا غلام هكذا فاسلخ" الحديث رواه ابن ماجة وصححه الألباني [٢٢، جـ٢، ص٢٠٩].

التوجيه والإرشاد المهني في مؤسسات التربية

حظي التوجيه والإرشاد المهني للشباب والرجال والنساء بعنايةٍ خاصةٍ من النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد كان يوجه الصحابة رجالا ونساء إلى ضرورة بذل الجهد في السعي لطلب الرزق، وكان يحثهم على ذلك، ويرشدهم إلى أحسن الطرق المؤدية إليه، وأنسبها لقدراتهم وإمكاناتهم، وذلك إضافة إلى تعليمهم ممارسة المهنة على وجهها الصحيح، كما في تدريبه للغلام على سلخ الشاة بطريقة صحيحة، وقد درّبه على ذلك بشكل عملي، ثم قال له: "يا غلام هكذا فاسلخ". وأما بالنسبة للتوجيه إلى اتخاذ المهنة المناسبة فنكتفي من ذلك بذكر مثالين؛ هما:

١- إرشاده صلى الله عليه وسلم للرجل الذي جاء يسأله إلى أن يتخذ الاحتطاب مهنة له يكف بها وجهه عن ذل السؤال. وقد أرشده إلى ذلك بشكلٍ عملي ؛ أخرج أبو داوود وابن ماجه في سننهما : " عن أنس بن مالك أن رجلا من الأنصار أتى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله فقال : أما في بيتك شيء؟ قال : بلى حلسٌ نلبس بعضه ونبسط بعضه ، وقعبٌ نشرب فيه من الماء ، قال : ائتني بهما قال : فأتاه بهما ، فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وقال : من يشتري هذين؟ قال رجل : أنا آخذهما بدرهم ، قال : من يزيد على درهم؟ مرتين أو ثلاثا ، قال رجل : أنا آخذهم بدرهمين ، فأعطاهما إياه ، وأخذ الدرهمين وأعطاهما الأنصاري ، وقال : اشتر بأحدهما طعاما فانبذه إلى أهلك ، واشتر بالآخر قدّوما فأتني به ، فأتاه به ، فشدّ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عودا بيده ، ثم قال له : اذهب فاحتطب وبع ، ولا أرينّك خمسة عشر يوما ، فذهب الرجل يحتطب ويبيع ، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوبا ، وببعضها طعاما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا خير لك أ ن تجئ المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة ، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة ؛ لذي فقر مدقع ، أو لذي غرم مفظع ، أو لذي دم موجع" [١٧ ، جـ٢ ، ص ص٢٩٢- ٢٩٤ ؛ ٢٩ ، جـ٢ ، ص ص ٧٤٠ ، ٧٤١]، وهو حديث حسن إسناده الترمذي [٣٠ ، جـ٣ ، ص ٥٢٢]، وضعّفه غيره من أهل الاختصاص [٣١ ، جـ١٩ ، ص ص ٣١ ، ٣٢ ، ١٨٢ ، ١٨٤]؛ وإيراده- هنا- إنما هو للاستئناس به فيما يتعلق بتوضيح الصورة التي كان عليها التوجيه والإرشاد المهني في التربية النبوية.

٢- إرشاده لأم هانىء بأن تتخذ لها غنما تستثمرها وتنميها ؛ أخرج ابن ماجة "عن أم هانىء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها : اتخذي غنما فإن فيها بركة" رواه ابن ماجة وصححه الألباني [٢٢ ، جـ٢ ، ص٣٢].

وقد حث العلماء قديما على ضرورة توجيه المتعلمين بحسب استعدادهم وميولهم الخاصة ، ومن ثم توجيه كل فرد إلى ما هو مستعد له من الأعمال والمهن ، وعدم تكليف من لا يوجد لديه استعداد كاف يؤهله لمواصلة طلب العلم ، وتوجيهه بدلا من ذلك إلى حرفة أو مهنة ينتفع بها هو ، وينتفع مجتمعه من وراء قيامه بها وحذقه فيها. ومن أقوالهم

بهذا الخصوص، يقول ابن حزم: "وكذلك جميع الصناعات من الحرث والحصاد والدّرس وآلات كل ذلك، والذرو والطحن، وعمل الكتان والقطن والقنب والحرير وغزل ذلك كله لا سبيل إلى أن يعرف أحد شيئا من ذلك كله إلا حتى يوقف عليه فيقبله، ويترفق به، ويفتق بذهنه في ذلك بما جعل في طبعه من قبوله، وبرهان ذلك أنه من لم يعلمه قط لا يدريه، وأن البلاد التي خلت من بعض هذه الصناعات لا توجد أصلا فيها مذ كان العالم إلى يومنا هذا؛ هذا بخلاف ما تقتضيه الطبيعة مما لا يحتاج فيه إلى معلم، كالرضاع والأكل والشرب والجماع وغير ذلك مما لا يحتاج فيه الإنسان إلى معلم" [٣٢، ص١٣٦].

ويتضح من هذا النص تنبيهه إلى أهمية التربية المهنية التي قوامها "التوقيف" على القيام بالعمل المهني، وتفتيق ذهن المتعلم على أسرار المهنة، مع ضرورة مراعاة الاستعداد الطبيعي لديه نحو ممارستها وإتقانها. أما ابن خلدون رحمه الله فقد دعا إلى أن يكون التعليم المهني تطبيقا عمليا مباشرا، لأن ذلك أجدى في إتقان المهن والصناعات، ويقول في ذلك: " اعلم أن الصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري، وبكونه عمليا هو جسماني محسوس، والأحوال الجسمانية المحسوسة نقلها بالمباشرة أو عب لها وأكمل، لأن المباشرة في الأحوال الجسمانية المحسوسة أتم فائدة، والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى، حتى ترسخ صورته... وعلى قدر جودة التعليم وملكة المعلم يكون حذق المتعلم في الصناعة وحصول ملكته" [٣٣، جـ٢، ص ١٣٥].

وقد دلت بعض الدراسات الميدانية على ضعف التوجيه المهني في مدارسنا [٣٤، ص ص١٦٢، ١٦٣، ١٨٢]، وبينت هذه الدراسات أن الإرشاد المهني في المعاهد والكليات المهنية نفسها لا يتوافر بشكلٍ شمولي يستفيد منه سائر الطلاب، ولا يتبع طرقا تربوية سليمة [٣٥، ص٧٥]، وأوصت بناء على ذلك بدعم هذا النوع من التوجيه وتفعيله حتى يحقق أهدافه في إرشاد المتعلمين إلى ما يناسبهم من مهنٍ أو حرف أو أعمالٍ "عملية أو علمية،" وأوصت أيضا بضرورة تأهيل المرشدين المهنيين في المدارس، وإمدادهم بالأدوات والمقاييس والمهارات والتدريبات التي تساعدهم على القيام بهذا الدور [٣٦، ص ص ٢٤١- ٢٥٠].

وأوصت دراسات أخرى بالدمج بين التعليم المهني والتعليم العام، أو ما يسمى بـ "تمهين التعليم،" حيث يمكن للطالب أن يتعرف على هذا النوع من التعليم، أو يتدرب على مهنة ما من خلال مشواره التعليمي في المدارس العادية [٣٧، ص٤٢]. ويذهب بعض الباحثين إلى ما هو أبعد من ذلك، وهو المناداة بمبدأ "التربية من أجل المهنة،" وذلك بإضافة مواد مهنية إلى مناهج التعليم العام، وإتاحة الفرصة لممارسة النشاط المهني الحقيقي داخل المدرسة وخارجها [٣٨، ص ٧٨]. ويقترح آخرون إدراج اكتساب المهارات المهنية ضمن الأنشطة اللاصفية في المدارس لكي يتحقق من خلالها حدٌ أدنى من التوجيه والممارسة المهنية.

ولا ريب أنه لا يمكن الأخذ بشيء من هذه الاقتراحات بشكل عملي إلا بعد مراجعة الأسس العامة والغايات والأهداف التي نتوخاها من التعليم العام. ولكن ينبغي أن لا نغفل دور المنهج التعليمي في التعريف بأهمية المهن والحرف والصناعات للفرد والمجتمع، وفضل العمل المهني والحرفي وقيمته في الإسلام، وثواب ممارسته عند الله في الدار الآخرة، وفائدته في الحياة عموما في رفع معنوية الفرد، وإعزازه، والبعد به عن الحاجة للغير. ويدخل في ذلك أيضا دور المنهج في إكساب المتعلمين الاتجاهات الإيجابية نحو العمل وتقدير قيمته، بل إنه يمكن البدء بغرس هذه الاتجاهات الإيجابية نحو العمل المهني في وقت مبكر في عمر الطفل، فالسنوات الست الأولى التي يقضيها الطفل في "الأسرة" المحضن الأول للتربية من حيث الأهمية، ومن حيث البداية الفعلية في إمداد الفرد بجرعات تربوية وأخلاقية متتابعةٍ؛ هذه السنوات الست في غاية الأهمية من ناحية القابلية لاستنبات الاتجاهات الإيجابية عند الفرد ومتابعة نموها فيما بعد، وقد يتكون عند الطفل في هذه السن اتجاهات إيجابية أو سلبية يستمر تأثيرها في سلوكه طوال عمره، وهذا ما يؤكده علم نفس النمو.

وأما المرحلة العمرية التالية لها، وهي سنوات المرحلة الابتدائية، فيمكن فيها متابعة تعاهد الاتجاهات الإيجابية في نفوس الأطفال؛ وبالإضافة إلى ذلك، يمكن إدخال العنصر

الحركي أو النشاط التمثيلي أو التدريبي المبسط لتدعيم هذه الاتجاهات، ولا سيما أنه: "يتسم الأطفال في هذه المرحلة بحبهم للعمل اليدوي وحبهم لتركيب الأشياء مع زيادة في القوة والسرعة، كما تزداد كفاءتهم ومهارتهم اليدوية وسرعتهم ودقتهم وقدرتهم على التحكم في حركات أجسامهم بشكل أفضل مع نهاية هذه المرحلة" [٣٩، ص٣٣٥].

وتتأكد أهمية العناية بالتوجيه والإرشاد المهني في المراحل التعليمية التالية، وكذلك الإعداد المهني الفعلي لمواجهة الحياة. وقد طرح بهذا الخصوص اقتراحات عدة، وأوصت بعض الدراسات بتبني برامج معينة، كتمهين التعليم العام، وتكييف المناهج الدراسية لتلبية الحاجات المهنية المتجددة، وطرح بهذا الصدد آراء عديدة، وهي أفكار لم تلق تأييدا قويا من جميع المختصين والمعنيين بالتربية والتعليم، إلا أنها أفكار جديرة بالنقاش والتداول تمهيدا للوصول إلى صيغ مقبولة لتلبية هذه الحاجات المهنية المتجددة.

المبادئ والقيم التربوية الإسلامية المتعلقة بالعمل

اقترن العمل في الإسلام بمبادئ وقيم تربوية أضفت عليه- في حس المسلمين وشعورهم وواقعهم- طابعا من النبل والشرف والفضل؛ وفيما يأتي أهم المبادئ والقيم التربوية الإسلامية المتعلقة بالعمل:

أولا: المبادئ العامة

تتمثل أهم هذه المبادئ فيما يأتي:

١- يكون العمل عبادة بمجرد اقترانه بسلامة القصد ومشروعية الأداء. وذلك أن العمل المهني أيا كان نوعه يشترط له شرطان هما:

أ) النية الحسنة من وراء القيام به.

ب) أن يكون العمل في ذاته مشروعا، وأن يكون الناتج منه حلالا. فإذا تحقق فيه هذان الشرطان فإنه يعد عملا من أعمال البر التي يثاب عليها المرء عند الله؛ وقد ورد آيات وأحاديث كثيرة في الحث على العمل، وعلى أهمية اقترانه بهذين الشرطين؛ نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر- بالإضافة إلى ما مرّ ذكره- أنه: "مرّ على النبي صلى الله

عليه وسلم رجلٌ، فرأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلده ونشاطه، فقالوا: يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان" رواه الطبراني [٤٠، جـ١٩، ص ١٢٩]، وصححه الألباني [٤١، جـ٢، ص ٨].

وهنا نجد نبل الغاية في السعي والكسب، ومن ثم الإنفاق، وهذه درجة عليا يبلغها من يسعى للكسب بقصد الاستثمار في هذا المصرف، إذ يبلغ درجة المجاهد في سبيل الله، وهذا الفضل يكون عند من يسعى على أبنائه وأهله أو على نفسه يعفها، إذ يبلغ درجة المجاهد في سبيل الله، فهو مأجور على العمل المرتبط بنية إعفاف النفس والأهل عن الحاجة للغير. وبمجرد تحول النية إلى أن يكون العمل بنية الرياء والمفاخرة فإنه بذلك يصبح عملا في سبيل الشيطان؛ وشتان بين النيتين وبين النتيجتين.

٢- التـوازن بين متطلبات الأداء التعبدي والممارسة المهنيـة. وذلك أن العمل المهني، أو العمل المشروع من أجل الكسب الحلال أمر مرغوب فيه، محضوض عليه في المصادر الشرعية إلى درجة أن ينال به أجرا عند الله، وهو كسبٌ آخر وراء الكسب المادي القريب. إلا أنه مع ذلك يجب أن لا يزاحم الفرائض والواجبات التعبدية المحضة، سواء في وقت الأداء، أو في مجال الاستحواذ على اهتمامات الفرد ذات الأولوية في تفكيره ونشاطه؛ ولذلك أنكر تعالى- في القرآن الكريم- على من انصرف عن العبادة إلى التجارة واللهو في حادثة مشهورة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يرويها جابر بن عبد الله رضي الله عنه بقوله: "أقبلت عيرٌ ونحن نصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الجمعة فانفضّ الناس إلا اثني عشرة رجلا فنزلت هذه الآية: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (الجمعة، الآية ١١) [١٢، جـ٣، ص٧].

وهذا وضع جانب الاعتدال والتوازن الذي يقتضي إعطاء كلٍ من الأمرين- العبادة والتجارة- ما يستحقه من الاهتمام والممارسة ؛ من غير أن ينزل بالعبادة عن رتبتها ، أو يرتفع بالتجارة عن حدها ، ولذلك أثنى سبحانه وتعالى على من استحوذ "ذكر الله" وعبادته المحضة على محور اهتماماتهم ؛ بحيث لا يزاحمها شيء من لهو أو تجارة ؛ كما قال سبحانه : ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ (النور ، الآية ٣٧).

ولا ريب أن هذا المستوى المثالي من الانسجام بين العبادة والتجارة هو ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم في حسهم وتفكيرهم وواقعهم بعد هذه التوجيهات الربانية المباشرة ؛ يصف ذلك قتادة بقوله : "كان القوم يتّجرون ولكنهم كانوا إذا نابهم حق من حقوق الله لم تلههم تجارةٌ ولا بيع عن ذكر الله حتى يؤدوه إلى الله" [١٢ ، جـ٣ ، ص٧].

٣- أن العمل لا ينافي التوكل وأن التوكل لا يعني القعود عن العمل. المطلوب من المسلم أن يكون متصلا بالله سبحانه وتعالى في كل أحواله ، يدعوه ويسأله ، ويرجوه ، ويتضرع إليه ، ويتوكل عليه ؛ وهو في هذه الصلة يمارس عمله ومسؤولياته ، ويقوم بدوره في المجتمع ؛ فهو يبذل السبب من خلال الجهد والنشاط والممارسة ويتضرع إلى الله أن يوفقه ، وأن يقبل منه ، وأن يكلل عمله بالنتائج النافعة ، وهو مع ذلك يتوكل على الله في رزقه ورزق من تحت يده ؛ فالله هو الرازق : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾ ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ ﴾ (هود ، الآية ٦) ، ويقول سبحانه : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾

ولكنه لا يكتفي بالتوكل عن بذل الجهد، ولا يتوقف عن فعل السبب، ثم ينتظر الرزق من الله سبحانه وتعالى، إذ هو الموفق والميسر؛ فهذا قعود، ويخطىء من يظن أن التوكل على الله يعني القعود؛ ولذلك يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق، ويقول اللهم ارزقني، فقد علمت أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة". ومعنى ذلك أن بذل السبب المتمثل في الانهماك بالعمل مطلوب، ولكن النتيجة أمرها ومردها إلى الله عزَّ جلَّ؛ فهو الذي يأذن بها ويوفق إليها، كما قال سبحانه:

ولكنها مع ذلك- وهذا هو الأهم- تربي الفرد على مفاهيم معينة، وهي اتجاهات ثابتة راسخة يصدر عنها مواقف مطردة في التعامل مع الحياة من خلال المهنة. ومنها مثلا مبدأ الاعتماد على النفس والثقة بالذات، وبذل الجهد مع التوكل على الله؛ إذ لا مكان للتواكل والتهاون والاعتماد على الغير، والبقاء عالة على المجتمع، فهذا أمر مرفوض، بل مستقذر في سلم القيم الإسلامية. وقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يغرس هذا المبدأ في نفوس الصحابة وهو يتولى تربيتهم؛ وكان يربيهم عليه قولا وفعلا؛ ومن الأمثلة على ذلك ما يلي: يقول الرسول صلى الله

عليه وسلم: "لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يغدو- أحسبه قال- إلى الجبل فيحتطب فيبيع فيأكل ويتصدق خير له من أن يسأل الناس" [١٢، جـ٢، ص١٣٢].

ويقول عليه الصلاة والسلام: "لأن يغدو أحدكم فيحطب على ظهره، فيتصدق به، ويستغنى به من الناس خير له من أن يسأل رجلا أعطاه أو منعه ذلك، فإن اليد العليا أفضل من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول" [١١، جـ١، ص٧٢١]. ولما سئل صلى الله عليه وسلم: "أي الكسب أفضل؟ قال: عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور." رواه الطبراني بسندٍ قال فيه الهيثمي: "رجاله ثقات" [٤٢، جـ٤، ص٦١]. ويقول: "ما أكل أحدٌ طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داوود عليه السلام كان يأكل من عمل يده" [١٢، جـ٣، ص٩].

وهذا تعليم منه صلى الله عليه وسلم لأهمية الاعتماد على النفس في توفير الحاجات الضرورية، كالأكل وغيره، وذلك عن طريق العمل المباشر باليد. ويلفت النظر صلى الله عليه وسلم إلى الاقتداء بهدي نبي الله داوود عليه السلام؛ وقد أخبر عنه في لفظ آخر- على سبيل الحصر- بقوله: "إن داوود النبي عليه السلام كان لا يأكل إلا من عمل يده" [١٢، جـ٣، ص٩]. فهو لا يعتمد على غيره في أكله مطلقا، لا يأكل إلا من عمل يده. ويقول الحافظ ابن حجر في شرح الحديث: "والحكمة في تخصيص داوود بالذكر أن اقتصاره في أكله على ما يعمله بيده لم يكن من الحاجة؛ لأنه كان خليفة في الأرض كما قال تعالى، وإنما ابتغى الأكل من طريق الأفضل، ولهذا أورد النبي قصته في مقام الاحتجاج بها على ما قدمه من أن خير الكسب عمل اليد، وهذا بعد تقرير أن شرع من قبلنا شرع لنا، ولا سيما إذا ورد في شرعنا مدحه وتحسينه مع عموم قوله تعالى: ① ⑤ ⑨ ❷ وفي الحديث أن التكسب لا يقدح في التوكل" [٢٧، جـ٤، ص٣٠٦].

وقد ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسمى مثل، فكان هو يعتمد على نفسه في أداء ما ينوبه من عمل، كما حدّثت بذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حينما

"سئلت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل في بيته؟ قالت: كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم،" رواه أحمد [٤٣، جـ٦، ص ص١٢١، ١٦٧، ٢٦٠]، وصححه الألباني [٤١، جـ٤، ص٢٦١]. وفي الحديث- أيضا- سئلت عائشة رضي الله عنها: "ما كان النبي يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة" [١٢، جـ١، ص١٦٤].

هذا هو صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة في نفسه، وقدوة مكتملة لغيره، ومعلما لأمته قولا وفعلا، مرشدا وموجها ومربيا بشتى الطرق الفعالة في ذلك. وقد أثمرت تربيته جيلا لا يعرف الاعتماد على الغير حتى في أبسط الأمور، وقد كان يبايعهم على أن: "لا تسألوا الناس شيئا." كما يبايعهم على ثوابت الإسلام وأصوله وأركانه، فوصلوا في الاعتماد على النفس درجة كبيرة، يقول عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه: "فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدا يناوله إياه" [١١، جـ١، ص٧٢١].

٥- أن العمل مهنة الصفوة من البشر. نعم! إنهم صفوة البشرية، ونخبتها وقادتها، فهم الأنبياء والرسل، ومع ذلك مارسوا العمل المهني كلهم؛ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: نعم؛ كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة" [١٢، جـ٣، ص ٤٨].

وهذا على سبيل العموم، كما يدل على ذلك منطوق الحديث؛ فكل الأنبياء امتهنوا هذه المهنة وقد قيل في ذلك إنه لحكمة إلهيةٍ تتمثل في تدريبهم أو توطينهم على القيادة، وتأهيلهم للريادة؛ أي قيادة بني جنسهم، وريادة طريق الحياة أمامهم. وقد وردت نصوص تشير إلى هذه الحكمة، كما في حادثة الأعرابي التي يرويها أبو هريرة رضي الله عنه قال: "جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد أعطني؛ فإنك لا تعطي من مالك ولا من مال أبيك، وأغلظ للنبي صلى الله عليه وسلم القول؛ فوثب الصحابة فقالوا: يا عدو الله تقول هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال: عزمت عليكم لما أمسكتم، فدعاه فدخل بيته فأعطاه، فقال: أرضيت؟ قال: لا، ثم أعطاه

أيضا ؛ فقال : أرضيت؟ قال : لا ، ثم أعطاه الثالثة ، فقال : أرضيت؟ قال : نعم ، قال : فاخرج إلى أصحابي ، فأخبرهم أنك قد رضيت ؛ فإن في قلوبهم عليك شيئا ؛ ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتدرون ما مثلي ومثل هذا الأعرابي ؛ مثل رجلٍ في فلاة من الأرض معه زاده وراحلته فنفرت راحلته ، فاتبعها الناس ، فما زادوها إلا نفورا : فقال : دعوني فإني أعلم بناقتي منكم ، فعمد إلى قمام الأرض ؛ يعني الحشيش فجعل يقول لها : هوي هوي ، حتى رجعت ، فأناخها فحمل عليها زاده ، ثم استوى على متنها ، فلو تركتكم حين قال ما قال فقتلتموه دخل النار ، فما زلت حتى فعلت ما فعلت ، وقال ما قال". ولم يقتصر امتهان الأنبياء عليهم السلام للعمل على هذه المهنة ، وإنما تعدى ذلك إلى مهن أخرى ، فالنبي الكريم صلى الله عليه وسلم اشتغل بالتجارة ، حيث تاجر بأموال خديجة رضي الله عنها ، وكذلك بقية الأنبياء اشتغلوا بمهن متنوعة ، حتى الأنبياء الذين صاروا ملوكا مع أ نهم أنبياء ، وهم بعض أنبياء بني إسرائيل ، كما جاء ذكر بعضهم في القرآن ، وكما أخبر عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم عنهم بقوله : "كانت بنوا إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي" [١١ ، جـ٢ ، ص١٤٧١]. حتى هؤلاء كان لهم مهن ، نعرف منهم مثلا داوود وسليمان عليهما السلام ، وقد علمنا من القرآن الكريم أن الله تعالى علّم داوود صناعة الدروع السابغات الواقيات ، وهذه كانت مهنته ، وقد جاء في الحديث أنه كان لا يأكل إلا من عمل يده- كما مرّ سابقا- وجاء في الحديث أيضا : "كان زكريا نجارا" [١١ ، جـ٢ ، ص١٨٤٧]. وقبل هؤلاء كلهم نوح عليه السلام ، فقد كان نجارا ، كما قصّ الله علينا قصته مع قومه ، وصناعته للسفينة ، فهو كان ينجر الأخشاب ويربطها بالمسامير أو "الدسر" كما جاءت تسميتها في القرآن الكريم. وهكذا كل نبي من الأنبياء قد مارس العمل من خلال مهنة أو أكثر ، فهل يسوغ لأحد بعد ذلك أن يحتقر العمل أو يزدري المهن؟!

٦- الجمع بين الحوافز الذاتية والحوافز الخارجية في الحث على العمل. وهذا يلمح بوضوح في الأحكام والتشريعات والنصوص الواردة بهذا الشأن ؛ فإن الأجر الأخروي والمثوبة من الله حافز ذاتي يحفز كل مؤمن ، فيحاول أن يقدم جهده المهني في الإطار

التعبدي التعميري الذي سبق الحديث عنه. ونجد نصوصا تبرز هذا الحافز الذاتي بشكل واضح، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: "إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها،" رواه أحمد [٤٣، جـ٣، ص ص ١٨٣، ١٨٤، ١٩١]، وصححه الألباني [٤٤، جـ١، ص ص١١، ١٢]. فالأجر هو الحافز، وهو حافز ذاتي لا شك في ذلك، وفي حديث آخر يقول: "ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان إلا كان له به صدقة" [١٢، جـ٣، ص ٦٦]. وهذا- بطبيعة الحال- لا يعني إهمال الحوافز الخارجية أو المادية عموما، فهي معتبرة شرعا ولا غبار على طلبها ما دام ذلك في إطار المقاصد الشرعية، بل إن الحوافز المادية موظفة- بحكم التشريع الإسلامي- للحث على العمل المهني في سبيل تعمير الأرض وتهيئتها للإثمار والإنتاج. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "من أحيا أرضا ميتة فهي له،" أخرجه الترمذي في *سننه* وصححه الألباني [٤٥، جـ٦، ص٤]. هذا تشريع، الأرض لمن أحياها إذا كانت مواتا؛ هي له جائزة على المساهمة في الإحياء والإعمار، وهي حافز مادي. ومن ذلك يتبين أن الإسلام يوظف الحفز الذاتي والخارجي (المادي) على السواء للحث على الانخراط في العمل المهني الجاد.

٧- ارتباط مفهوم العمل بالناحية الإنسانية في التعامل. يتضح هذا الارتباط من استقراء نصوص عديدة تتعلق بممارسة العمل المهني، ويتضح كذلك من التوجيه إلى السلوكيات التي ينبغي أن تسود بيئة العمل المهني، وهي سلوكيات يراعى فيها حقوق ومشاعر كل الأطراف المتعاملة في إطار المنفعة أو الممارسة المهنية المتبادلة. فإذا كان العامل يلزم بالمحافظة على حقوق الناس، ويطالب بالأمانة والنصح، والإتقان، والدقة في المواعيد، والمحافظة على المواد والخامات، وما إلى ذلك فإنهم هم أيضا مطالبون بالوفاء بحقه، وعدم المماطلة، والتهاون في توفيته أجره، حيث نجد مثل هذا التوجيه في مثل قوله صلى الله عليه وسلم: "أعطوا الأجير حقه قبل أن يجف عرقه،" رواه ابن ماجة وصححه الألباني [٢٢، جـ١، ص٥٩].

وهذا مراعاة لإنسانيته وكده وجهده، وتطييب لنفسه، وسد لحاجته، فالنفس حينما تقبض الأجر بعد معاناة العمل مباشرة فإن ذلك له أثر في تطييبها وحفزها ورضاها وإبعاد مشاعر الإحباط، وتخفيف الشعور بالإرهاق عنها.

هذا الجانب الإنساني نجده متمثلا في الرحمة المطلوبة في التعامل مع كل ذي كبدٍ رطبة وبصورة واضحة في التعامل مع البهائم عند ذبحها. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، فليرح ذبيحته" [١١، جـ٢، ص١٥٤٨].

كما نجد هذا الجانب النبيل أيضا فيما يتعلق بالاستفادة من مردود العمل المهني ونواتجه، والترغيب في استثمار هذا المردود في سد الحاجات الإنسانية للمعوزين والمساكين والأرامل والمحتاجين؛ ونكتفي- بهذا الصدد- بذكر حديثين يحملان أبلغ الدلالة على هذه الحقيقة:

الأول: قوله صلى الله عليه وسلم: "الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله- وأحسبه قال- وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر" [١١، جـ٣، ص ص ٢٢٨٦، ٢٢٨٧].

الثاني: قوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الشيخان: "على كل مسلم صدقة، قيل: أرأيت إن لم يجد؟ قال: يعتمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق، قال قيل: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: يعين ذا الحاجة الملهوف، قال قيل: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: يأمر بالمعروف أو الخير قال: أرأيت إن لم يفعل؟ قال: يمسك عن الشر فإنها صدقه" [١١، جـ١، ص ٦٩٩؛ ١٢، جـ١، ص١٢١]، وجاء في شرح الحديث: "يعتمل: الاعتمال افتعال من العمل" [١١، جـ١، ص٦٩٩]، هذا لفظ مسلم، وفي لفظ البخاري: "قال: يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق" الحديث، والمقصود- كما يتضح من اللفظ- أن يعمل بيديه؛ فيكتسب ما ينتفع به، إما بسد حاجاته هو، وإما بالصدقة به على غيره، فينتفع به هذا الغير، ويؤوب هو بالأجر.

ثانيا: قيم وآداب خاصة

يرتبط بالعمل والمهنة طائفة من القيم والصفات الخلقية والآداب الخاصة بالمهنة أيا كانت، بالإضافة إلى آداب أخص منها تتعلق بكل مهنة على حدة. وقد تبلورت هذه الآداب ودونت في مؤلفات خاصة بها، مثل *أخلاق الطبيب* للرازي بالنسبة لمهنة الطب، *وآداب المعلمين* لابن سحنون، *والرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين* لأبي الحسن القابسي بالنسبة لمهنة التعليم، وغيرها، وحيث إنه لا يتسع المجال في مثل هذا البحث لتناول آداب المهن بشكل تفصيلي خاص فإنه يتعين الاكتفاء- هنا- بالحديث عن القيم والآداب المهنية التي يلزم توافرها والاتصاف بها من قبل جميع العاملين بغض النظر عن المهنة التي يمارسها كل منهم، وأهمها ما يأتي:

١- الاتقان في العمل. وهذا مبدأ عام في العمل العبادي المحض، والعمل المهني أيضا؛ وإن من أسباب إكساب العمل المهني صبغة تعبدية يثاب عليها فاعلها إتقان العمل؛ فإن الإتقان أمرٌ محبوب لله، ومن تتبع ما يحبه الله وعمله في مجال مهنته فإن عمله المهني يكون عبادة. وذلك كما أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه" رواه ابن سعد [٤٦، جـ١، ص١٤٣؛ جـ٨، ص ٢١٦]، وصححه الألباني [٤٤، جـ٣، ص ص ١٠٦، ١٠٧].

ولا ريب أن الحاجة ماسة إلى الإتقان في كل زمان؛ ولا سيما في زمن كثرت فيه الصناعات، وأصبحت الآلات والأجهزة معقدة التركيب، ودخلت الآلة في جوانب كثيرة من حياة الإنسان؛ فأصبح الإتقان ضرورة لازمة للحفاظ على فعالية الآلات وجودة المنتجات.

٢- مراقبة الله في الأداء المهني. مراقبة الله في السر والعلن- في كل عملٍ يعمله الإنسان- ثمرة من ثمرات "الإحسان" الذي هو درجة فوق درجة الإيمان. والذي يعني كما في حديث جبريل المشهور: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" [١١، جـ١، ص٣٧]. ولا ريب أن هذه المراقبة مطلوبة في العمل المهني، حيث إن مردوده أو الناتج منه يتدرج بين الحل والحرمة بحسب مراقبة العبد لله في أدائه لعمله وتقيده فيه بالأوامر الشرعية أو غفلته وإعراضه عن شرع الله. ونجد تربية هذه المراقبة في النفوس من خلال

آيات الكتاب العزيز، وخاصة تلك الآيات التي توضح سعة علم الله، وإحاطته بكل شيء، وعلمه بما تكن الصدور وما تعلن. وقد أثرت هذه التربية أبلغ التأثير في أجيال المسلمين، ولا سيما في عصر صدر الإسلام، حيث كانوا يراقبون الله في عباداتهم وأعمالهم، وإنتاجهم المهني، ومن الأمثلة على ذلك موقف بائعة اللبن في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حينما أصدر أمره بأن لا يخلط اللبن بالماء، وحدث أن كان رضي الله عنه يعس ذات ليلة فسمع أما تقول لابنتها: "قومي إلى ذلك اللبن فأمذقيه بالماء، فقالت الفتاة: أو ما علمت بما كان عزمه أمير المؤمنين؟ قالت المرأة: وما كان من عزمته؟ قالت: إنه أمر مناديه أن لا يشاب اللبن بالماء، قالت المرأة: قومي إلى اللبن فامذقيه فإنك بموضع لا يراك عمر ولا مناديه، قالت الصبية: والله ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلاء" أو قالت: "فإن لم يعلم هو فإن رب أمير المؤمنين يرى ذلك" [٤٧، جـ٢، ص٢٧٩]. هكذا تزكو النفوس وتنموا فيها المراقبة الذاتية، التي قوامها مراقبة العبد لله في سره وجهره، وفي عباداته ومعاملاته، وعمله ومهنته.

٣- الأمانة ومجانبة الغش. وهذه قيمة أخلاقية لها غاية الأهمية في الحياة الإسلامية عموما، وذلك لارتباط الأمانة بالإيمان، كما في الحديث: "لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له،" رواه أحمد في *مسنده* [٤٣، جـ٣، ص١٣٥]، وصححه الألباني [٤١، جـ٦، ص١٢٣]. وهي مع ذلك ذات مكانة خاصة فيما يتعلق بالعمل المهني، أو العمل بالأجر؛ يدل على ذلك قوله تعالى: 🕛 ⚠❄⌖⑥⌧✞❶◻

⑤✠💣♒♊•⌖▫❄☟💧↗⮝⌖⑥ ▦❄⌖❄❄☟▭⑥✞😐⑩❄⌖❶♑

⑤✍✦❄◻❷❄⌖❄❄☹♊❿✡⭘⬄↓💧👓 ⑤✠💣⮊⌖✈ ·⌖❄&♊⊙⌖ ⮛⌖⮉✠

⑤✍✦❄◻❷❄⌖❄❄☹♊❿⌖⭘⬄⓿⇨ ⑤✍⌧🖫✎⌖🡅✠⬃⇧☺

⑤✍⇳②😐✞⮛✡&⮊💧 🕓 (القصص، الآية ٢٦).

ولذلك جاء التأكيد على الأمانة وخطورتها بالنسبة للمعاملات التجارية والمهنية بصفة خاصة، حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم يربي الناس مباشرة على التعامل بالأمانة، ويتفقدها في معاملاتهم، ويحاسبهم عليها. أخرج الإمام مسلم في *صحيحه*: "عن

أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ على صبرة طعام، فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا: فقال: ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال: أصابته السماء يا رسول الله! قال: أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟ من غش فليس مني" [١١، جـ١، ص٩٩]. بل إن الأمانة مبدأ ملزم لا يوجد ما يسوّغ التخلي عنه، حتى مع من لا يلتزمون بها، فلا يعاملون بالمثل؛ يقول صلى الله عليه وسلم: "أد الأمانة إلى من ائتنمك، ولا تخن من خانك،" رواه الترمذي، وصححه الألباني [٤٨، جـ٢، ص١٩]. ولا ريب أن مجال الأمانة في العمل المهني مجال واسع يتعلق بجودة الصنعة، وجودة المواد والخامات، وجودة الأدوات وقطع الآلات وقطع الغيار، وغيرها، وكذلك بعض المهن التي يكون للأمانة فيها مجال واسع، كالطب، حيث يكون الطبيب مؤتمنا على حياة الناس وأسرارهم، وأعراضهم وأجسامهم، وأعضائهم التي لا يتطلب العلاج النظر إليها- بالنسبة للنساء مثلا- وهكذا.

٤- النصح والإخلاص في العمل. وهذا معنى آخر من المعاني السامية التي ترتبط بالعمل المهني فتكسبه منزلة ترفع درجته في ميزان الله؛ إنه النصح أو الإخلاص في العمل وبذل الطاقة والجهد في سبيل القيام به على الوجه الأكمل الذي يرضي الله سبحانه وتعالى ويحقق الفائدة المرجوة لعباده، وإذا تحقق هذا في العمل المهني أصبح مردوده المادي- في ميزان الله- خير مردود، كما جاء في الحديث: "خير الكسب كسب العامل إذا نصح" رواه أحمد [٤٣، جـ٢، ص ص ٣٣٤، ٣٥٧] بسند قال فيه الهيثمي: "رجاله ثقات" [٤٢، جـ٤، ص ٦١].

٥- القوة في أداء العمل. القوة صفة مرغوبة ذات قيمة عالية في ميزان الله؛ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير" [١١، جـ٣، ص٢٠٥٢]. المؤمن القوي في إيمانه، وفي قوله، وفي فعله، وفي كل شيء خيّر هو أحب إلى الله، والقوة والنشاط والجد صفات مطلوبة للعمل المهني؛ يقول تعالى: ⓵ ⑤ ✠ ❶ ❑ ⑥ ❄ ✠ • ⑨ ✠ ▫ ❄ ✠ ◢ ▲ ⑥ ✠

⑥ ✠ ❄ ❄ ✠ ❄ ⑩ ⑩ ✠ ❶ ♑ ⑤ ✦ ❑ ❷ ✠ ❄ ✠ ❄ ☹ ⑨ ⑩ ✡ ✠ ⑥ ✞ ❄ ❄ ❄ ✠ ❄ ▥

⇨⓿⇦⓿✥⑩♊☹❄❄✥❄❷◘❄✦⑤ ✠❶✥⍱ ✥⊙♊&❄✥· ✈✥➲💣✠⑤ ⑤✍⌧🖫🗷✠🡅✥🗷☺⇧⇗✠🡅✥❶②☹✞✡⍱⑤ ☺⇧⇗✠🡅✥🗷🖫⌧✍⑤ 🕓 (القصص، الآية ٢٦)، فقوة موسى عليه السلام كما ورد في بعض كتب التفسير هي قوة عملية عضلية؛ إذ لاحظت ابنة شعيب قوته حينما رفع حجرا عن فوهة البئر لا يقدر على رفعها في العادة إلا عدد من الرجال يقارب العشرة [١٦، مج١١، جـ٢، ص ص ٦٣، ٦٤؛ ٤٩، جـ٤، ص ٢٣٩]. وهذه قوة في ممارسة العمل ومباشرته وأخذه بجد، ولا ريب أن القوة في العمل لها جوانب عدة؛ القوة في امتلاك المهارة، والقوة في الاستحواذ على الجانب المعرفي للمهنة، والقوة في الأداء والتنفيذ، والقوة في التقيد بالالتزامات والاتفاقيات، وغيرها.

٦- الاستغناء والتعفف عن الغير. وهذه صفات منبثقة عن مبدأ الاعتماد على النفس، وقد مرّ ذكره سلفا، والأحاديث التي وجهت إلى الاعتماد- بعد الله- على النفس وجهت كذلك إلى ضرورة الاتصاف بالعفة والقناعة والاستغناء عما في أيدي الناس. وقد ورد في بعض تلك الأحاديث قوله صلى الله عليه وسلم: "لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة من الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه" [١٢، جـ٢، ص١٢٩].

ومن ذلك أيضا ما أخرجه مسلم عن عبد الله بن عمر: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال، وهو على المنبر، وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسألة: اليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا المنفقة واليد السفلى السائلة" [١١، جـ١، ص٧١٧]. كما ورد التنفير والتحذير من المسألة في أحاديث كثيرة لا يتسع المقام- هنا- لبسط شيء منها.

وهذه صفات تكتسب بالمحاولة تلو المحاولة، كما جاء في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: "ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله" [١٢، جـ٢، ص١٢٩؛ ١١، جـ١، ص٧٢٩]، وهي صفات محمودة لعموم الناس؛ ومما يعين على التحلي بها أن يكون للإنسان مهنة يرتزق منها.

٧- الدقة والوضوح في تنفيذ العقود. المهنة ممارسة ومعاملة؛ قد تكون بين طرفين أو أكثر، وقد تتضمن عقدا أو اتفاقا على نوع الخدمة المطلوبة، ومدتها، والأجر المترتب على تنفيذها، وما إلى ذلك. وهذا الاتفاق إنما هو عقد ملزم، ولا بد فيه من الدقة والوضوح، منعا للالتباس وما ينتج عنه من سوء فهم، أو تكدر خاطر، أو بغضاء وعداوة، وكتابة العقود، وتسجيلها مما يساعد في الوصول إلى نهاية مرضية للطرفين، ولا سيما إذا اتصفت بالدقة والوضوح. ونجد مثل هذه الدقة في العقد الذي أبرمه موسى عليه السلام مع شعيب، كما في قوله سبحانه: ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (القصص، الآيتان ٢٧، ٢٨)، ولنا في هدي أنبياء الله ورسله قدوة، أي قدوة! كما قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ (الأنعام، الآية ٩١).

٨- المحافظة على الموارد وتجنب إهدارها. وهذا أدب إسلامي رفيع ينبغي الالتزام به من عموم المسلمين، لأن الإسراف والتبذير مما يبغض الله، حيث يقول سبحانه:

(الإسراء، الآيتان ٢٦، ٢٧). وأخرج الإمام أحمد في *مسنده* أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما مر على سعد، وهو يتوضأ فقال: "ما هذا السرف يا سعد؟ قال: أفي الوضوء سرف؟ قال: نعم وإن كنت على نهر جار" [٤٣، جـ٢، ص٢٢١]، وقد صحح إسناده أحمد شاكر [٢٣، جـ١٢، ص٢٣]، وضعّفه شعيب الأرنؤوط وآخرون [٣١، جـ١١، ص٦٣٧]. وعلى كل حال، فإن معناه متضمن في الآيتين السابقتين؛ فالتبذير- كما جاء في تفسير الآية- هو "الإسراف المذموم لمجاوزته للحد المستحسن شرعا في الإنفاق، أو هو الإنفاق في غير الحق وإن كان يسيرا،" وهو حرام شرعا [٤٩، جـ٣، ص٣١٧].

والعمل المهني فيه مجال واسع للاقتصاد في الموارد والطاقات والخامات والأوقات والجهود وغيرها، والعامل المسلم مطالب بالالتزام بهذا الأدب في بيئة العمل.

٩- المحافظة على المواعيد والالتزام بها. تنطوي عقود العمل غالبا على مواعيد محددة للتنفيذ، أو الإنشاء، أو التجهيز، أو التسليم أو الصيانة، أو غيرها. وواقع الناس- للأسف الشديد- يلمس فيه تجاوزات كثيرة فيما يتعلق بالمواعيد، مثل التأخير أو التهاون، وأحيانا المماطلة والتسويف. ويكون هذا على حساب مصلحة الطرف الآخر

ووقته وراحته، والمهني المسلم ينبغي أن يتأدب بآداب الإسلام؛ ومنها الوفاء والالتزام بالمواعيد، إذ أن إخلاف الوعد من سجايا المنافقين، كما في الحديث: "آية المنافق ثلاث، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان" [١١، جـ١، ص٧٨].

١٠- تهيئة الأدوات والأجهزة وصيانتها والمحافظة على فعاليتها. لكل مهنة من المهن أدواتها وأجهزتها الخاصة بها، وإن إهمال الأجهزة والأدوات من شأنه أن يعيق سير العمل على وجهه الصحيح، وربما تسبب في أخطاء جسيمة. وإن المتمعن في هدي النبي صلى الله عليه وسلم في التربية المهنية ليجد عناية واضحة وتوجيها مباشرا نحو الاستعداد للعمل المهني بما يحتاجه من أدوات خاصة. نجد ذلك مثلا في تنبيهه إلى ضرورة أخذ الحبال لممارسة "الاحتطاب،" كما في قوله: "لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يغدو إلى الجبل فيحتطب..." الحديث [١٢، جـ٢، ص١٣٢]. ونجد ذلك أيضا في تنبيهه إلى أهمية أن تكون "الشفرة،" أي السكين، حادة بما فيه الكفاية لتنفيذ مهمة ذبح الذبيحة بفعالية وسرعة، حتى لا تتعذب بين يدي من يتولى ذبحها، كما في قوله: "وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته" [١١، جـ٢، ص١٥٤٨]. وحيث إن المعدات والأدوات معقدة ومتنوعة في الوقت الحاضر، فإن هذا يستدعي اهتماما واستعدادا مكافئا.

١١- تخصيص ملابس خاصة بالمهنة. والمقصود ملابس غير الملابس العادية التي يمارس فيها الفرد حياته العامة بما فيها من عبادات واختلاطٍ بالآخرين، وذلك لأن لكل مهنة آثارها التي تظهر على الملابس والهيئة. فمن الأفضل أن يكون ذلك في مجال العمل المهني، أو التدريب المهني فقط؛ وأما خارج نطاق العمل أو التدريب، فينبغي أن يمارس الفرد حياته بهيئة عادية وملابس عادية. وقد جاء التوجيه إلى ذلك على لسان النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في قوله: "ما على أحدكم- إن وجدتم- أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته." رواه أبو داوود وصححه الألباني [١٨، جـ١، ص٢٠١].

ومن فوائد ملابس العمل أنها تساعد على الحركة، ولا تعوق النشاط، إذ يراعى فيها عادة أن تكون مناسبة وعملية، بالإضافة إلى أنه يراعى فيها جانب السلامة

والوقاية- عند اللزوم- من الأخطار التي تنطوي عليها بعض الصناعات، مثل المواد الخطيرة، أو المواد المشعة، أو الأدخنة والأبخرة الضارة، وما إليها.

١٢- الاغتسال والنظافة بعد أداء العمل المهني. وهذا أدبٌ إسلامي رفيع، لأن الفرد في مهنته معرض بدنه للتلوث بالمواد المتطايرة، أو الزيوت، أو الدخان، أو الدهانات، أو العرق والغبار، أو روائح المعامل والمطابخ، وغيرها. ومما يحافظ على صحته أن يغتسل من آثارها، خاصة في هذا الزمن الذي كثر فيه استخدام المواد الكيميائية في الصناعة والعمل، وكثيرٌ منها يضر بصحة الإنسان. كما أن في الاغتسال تخلصا من الروائح الكريهة التي يتأذى بها الآخرون، ونجد التوجيه لذلك أيضا من واقع حياة الصحابة في ممارستهم لمهنهم وأعمالهم، والتوجيه النبوي بهذا الخصوص في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: "كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمّال أنفسهم، وكان يكون لهم أرواح، فقيل لهم: لو اغتسلتم" [١٢، جـ٣، ص ص ٨، ٩]، وأرواح: أي روائح كريهة، وفي لفظ: كان الناس مهنة أنفسهم، وكانوا إذا راحوا إلى الجمعة راحوا في هيئتهم، فقيل لهم: "لو اغتسلتم" [١٢، جـ١، ص ٢١٧].

١٣- التهيؤ والاستعداد للحياة العامة خارج حدود العمل. الحياة العامة ميدان يلتقي فيه الناس في أماكن عامة مفتوحة للجميع، مثل المساجد والمنتديات العامة، والأسواق، وغيرها، وينبغي أن يكون التقاؤهم وهم في هيئة مقبولة غير منفّرة، لأن الإنسان وهو يمارس عمله قد يعاني من العرق، أو الغبار، أو المواد المتطايرة، وقد تتسخ ملابسه، وقد يظهر منها روائح غير مقبولة خارج نطاق بيئة العمل. ولذلك ينبغي التهيؤ للحياة العامة- وخاصة حضور الجمعة والجماعة في المساجد- باستعداد خاص، وملابس نظيفة، ورائحةٍ طيبة، ونذكر بهذا الخصوص حديثين، هما: قوله صلى الله عليه وسلم: "ما على أحدكم- إن وجدتم- أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته،" رواه أبو داوود وصححه الألباني [١٨، جـ١، ص٢٠١]. وقول عائشة- فيما أخرجه البخاري- رضي الله عنها قالت: "كان الناس ينتابون يوم الجمعة من منازلهم والعوالي فيأتون في الغبار يصيبهم الغبار والعرق فيخرج منهم العرق، فأتى رسول الله صلى الله عليه

وسلم إنسان منهم، وهو عندي فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لو أنكم تطهرتم ليومكم هذا" [١٢، جـ١، ص٢١٧].

هذه جملة من الآداب والقيم التربوية الإسلامية الأصيلة التي يحسن بالأفراد أن يتأدبوا بها ويطبقوها في حياتهم بشكلٍ عام، وفي بيئة العمل المهني بشكلٍ خاص. ولا ريب أن التخلق بها وتطبيقها يحتاج إلى مقدمات وجهود تربوية تتعاون مؤسسات التربية على القيام بها، وعلى ترسيخها معرفة في أذهان الناشئة، وحبا في وجدانهم، وسلوكا يتحركون به ويعايشونه في واقع حياتهم.

الأسس الإسلامية للتربية المهنية

في ضوء ما سبق، ومن خلال الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، يمكن استنباط الأسس الإسلامية الآتية للتربية المهنية.

١- أن الله خلق الإنسان خليفة في الأرض لعبادته، وتتحقق هذه العبادة بالقيام بالفرائض والواجبات التعبدية، كما تتحقق كذلك بعمارة الأرض على منهج الله، ووفق تشريعه الذي شرعه للحياة الإنسانية على هذا الكوكب. وعبادة الله بالفرائض والواجبات التعبدية المحضة، والعمل في تعمير الأرض وفق منهج الله لا تعارض بينهما ولا تضاد، ولا يكفي أحدهما عن الآخر، فالإسلام دين يوازن بين أمر الدنيا وأمر الآخرة، لا يقر الرهبانية، كما أنه لا يقر المادية التي تطغى فيها المادة على ذهن الإنسان وكيانه ونشاطه، فتصرفه عن ذكر الله وعبادته: ﴿ابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص، الآية ٧٧).

٢- أن الله أودع هذه الأرض كنوزا وطاقات ضخمة، وزوّد الإنسان بمواهب ذهنية، وطاقات عقلية، وقوى بدنية وعضلية لكي يستطيع بهذه المواهب والطاقات والقوى أن يستخرج تلك الكنوز والذخائر والطاقات، ويستخدمها فيما يعود عليه وعلى

البشرية بالفائدة والنفع. وما أودع الله في الأرض، وما زوّد به الإنسان كله نعمٌ تستحق شكرا للمنعم بها وحمدا له على تفضله بها. وهذا يقتضي صرف ذلك كله- الطاقات الكونية والمواهب الإنسانية- فيما يرضي الله سبحانه وتعالى، وعدم صرف شيء منها فيما يسخطه جلّ وعلا.

٣- أن الإنسان مدفوع بفطرته إلى الإنجاز، ويتحقق الإنجاز بالسعي والحركة والعمل وبذل الجهد المثمر، والإنسان لا يستقر ولا يستريح حتى يشعر بأنه حقق شيئا، أو أنجز شيئا. وعلى العكس من ذلك يشعر بالإحباط والتعاسة حينما لا يكون لديه عمل يؤديه أو أمر ينجزه، وهذا هو الأساس الفطري للعمل، وبالتالي للتربية المهنية. والإسلام هو دين الفطرة الذي يقر دوافعها ويلبيها، بل يشبعها إشباعا مشروعا.

٤- أن الإنسان- كذلك- مدفوعٌ بفطرته نحو التملك، وأنه مزودٌ بهذه الفطرة لحكمةٍ إلهيةٍ بالغةٍ وذلك لكي يندفع نحو الجد في العمل والكدح بغية الامتلاك؛ فتتحقق بذلك عمارة الكون، ويتحقق للإنسان نفسه تلبية دوافع فطريةٍ أخرى، كالدافع إلى البقاء ودوافع الأكل والشرب والجنس والأبوة والأمومة، وغيرها. وفطرة التملك تمثل جانبا من الأساس الفطري للعمل والتربية المهنية.

٥- أن ممارسة العمل في حد ذاتها هي إشباع وتلبية لدافع الإنجاز الفطري عند الإنسان، ويتحقق عن طريق ممارسة العمل الحصول على مردودٍ مادي معين يتحقق بتحصيله تلبية الدافع الفطري نحو الامتلاك كذلك. وحيث إن تربية الإسلام تقدم التلبية المشروعة للدوافع الفطرية، فلابد أن يكون العمل مشروعا في حد ذاته، وفي غاياته ومقاصده. وقد حدد التشريع الإسلامي المعالم والحدود الفاصلة بين ما هو مشروع وما هو غير مشروع من الأعمال، والمهن، والممارسات المهنية، والمعاملات التجارية، والصناعية، والزراعية، وغيرها؛ وهذا أساس معرفي تشريعي ضروري للتربية المهنية.

٦- أن العمل والسعي والكدح الذي يقوم به الإنسان ليس استجابة لحاجات آنيةٍ ملحةٍ تتمثل في توفير ما يحتاجه الإنسان من طعام وشراب وكساء فحسب، وإنما هو قبل ذلك استجابة لفطرة مغروسة في أصل خلقته تدفعه نحو السعي والعمل، إذ إنه مفطور على

حب العمل والاندفاع نحو الإنجاز، واستثمار وقته وجهده فيما يلبي هذه الفطرة. وهذا يفسر جانبا من الآثار النفسية السيئة التي يتعرض لها الأفراد إذا حرموا من العمل وعايشوا البطالة لفترة طويلة، وهذا أساس نفسي تساهم به الممارسة العملية والمهنية في توفير حالة نفسية سوية لأفراد المجتمع.

٧- أن العمل والمهنة يمكن أن ترتفع بنبل غايتها ومشروعية أدائها إلى أن تكون عملا تعبديا يؤجر عليه المرء أعظم الأجر عند الله. وقد ترتفع بذلك إلى أن تكون عملا جهاديا، وأن تكون كالصيام والقيام، وهذا أساس ديني تعبدي ينطوي على ثواب أخروي. وينبغي أن يكون هذا من ركائز التربية المهنية، لأن حياة الأفراد ينبغي أن تتسم بالتوازن بين أمر الدنيا وأمر الآخرة، وأن لا تكون حياة دنيوية مادية مبتوتة الصلة بالجانب الأخروي.

٨- تعتمد التربية المهنية في الإسلام على مجموعةٍ متنوعةٍ من الحوافز لتحفيز الأفراد وحثهم على الانخراط في العمل المهني. فمن التحفيز بإرضاء دافع الإنجاز وتلبيته بالحث على الحركة والسعي والعمل ، حيث يتولد عن ذلك نوع من الرضي النفسي الذي مبعثه الشعور بالنجاح والإحساس الفعلي بالإنجاز، وهذا بدوره يدفع إلى إنجازٍ آخر وهكذا، إلى التحفيز بالحوافز الذاتية متمثلة بالثواب الأخروي المدخر عند الله سبحانه وتعالى لمن يلتزم بأوامر الله ومحابه، ويتجنب نواهيه ومساخطه في ممارسته لعمله المهني، إلى التحفيز بالحوافز الخارجية متمثلة بالأجر أو المردود المادي القريب. وهو ثمرة طيبة مرضية ما دام أنه كسب مشروعٌ من طريق مشروع، إلى التحفيز بالمبادئ التي تغرسها التربية المهنية الإسلامية في النفوس فتتحول إلى اتجاهات نفسية ثابتة تدفع المرء نحو السلوك الإنتاجي أو المهني، إلى التحفيز بالقيم والمفاهيم التي تضفي على العمل قيمة سامية تجذب النفوس إلى الانخراط فيه، وممارسته عن رضي وقناعة... إلى غير ذلك من الحوافز المتنوعة.

٩- التربية المهنية في الإسلام تربية عملية تطبيقية، يتم فيها الانهماك الفعلي في الممارسة المهنية، حيث يتم من خلال الممارسة اكتساب الخبرة المهنية وتنميتها والاستحواذ على مهاراتها الضرورية. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ينحوا هذا المنحى العملي

التطبيقي في تعليمه وفي تيسيره سبل اكتساب مهاراتها وتعلم خبراتها. ولا ريب أن تعليم المبادئ والمفاهيم النظرية المتعلقة بممارسة العمل المهني إنما هو للتطبيق الفعلي، وليس لإثراء الناحية المعرفية فقط ؛ ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلّم هذه المفاهيم، ثم يتفقدها في سلوك الصحابة واقعا عمليا ملموسا.

١٠- أن ممارسة العمل والمهنة لا بد أن تتم في إطارٍ من المبادئ السامية والأخلاق والقيم الرفيعة التي ضمن بموجبها الإسلام لكل ذي حق حقه، كما ضمن بها للمجتمع قدرا من الوئام والانسجام والتعاون. وهذا هو الأساس الأخلاقي الذي ينبغي أن تنفذ التربية المهنية في ضوئه وفي إطاره العام، ولا يصح أن يكون اهتمام مناهج التربية المهنية منصبا على الجانب العملي المادي في معزل عن هذه المبادئ والقيم والأخلاق.

١١- من المبادئ التربوية ذات الأهمية البالغة في التربية المهنية مبدأ الاعتماد- بعد الله- على النفس، ومبدأ بذل الجهد مع التوكل على الله والاستعانة به في طلب الرزق، والتطلع إلى فضل الله، وشكره عليه بصرفه في المصارف التي تجلب رضى الله سبحانه، والظن به عن المواطن التي تجلب سخطه، مع محاولة إفادة الغير واستصحاب النية الطيبة في الأخذ والعطاء، والعمل والمعاملة، والسريرة والعلانية، والاعتزاز بالعمل، ورفع الرأس به، والحرص عليه، وشكر الباري على التوفيق إليه، والغبطة به اقتداء بخير البشرية وصفوتهم من أنبياء الله ورسله في ممارستهم للعمل المهني. فهذه المبادئ تنطوي على معانٍ عميقة من شأنها أن تقوي دافعية الأفراد نحو الالتزام بالعمل المهني، وتقديره حق قدره ؛ كما أن من شأنها أن تصحح بعض المفاهيم الخاطئة، كالنظرة الدونية للعمل، والحط من شأن المهنة وما إلى ذلك.

١٢- من القيم الرفيعة التي يوليها الإسلام عناية بالغة في ميدان التربية المهنية الإتقان في العمل، ومراقبة الله في الأداء المهني، والأمانة ومجانبة الغش والتدليس، والنصح والإخلاص والقوة في العمل، والاستغناء والتعفف عما في أيدي الناس، والوضوح في العقود والاتفاقيات، والمحافظة على الموارد والطاقات والأوقات، ومجانبة الإسراف،

والالتزام بالمواعيد والتعهدات، والاستعداد والتهيؤ النفسي والبدني لبيئة العمل بما تحتاجه من إقبال واهتمام وملابس وأجهزة وأدوات خاصة، مع التفريق بينها وبين البيئة الاجتماعية العامة التي يخالط فيها المرء أفراد مجتمعه في منتدياتهم العامة ومساجدهم ومجالسهم، حيث يلزم لهذه الأماكن استعداد آخر أو تهيؤ آخر، حيث لا ينقل معه آثار مهنته إلى خارج نطاقها وبيئتها، ويستعد للقاء الآخرين في المجالس العامة والمساجد والمنتديات بما يناسب ذلك من استعداد.

والالتزام بهذه القيم والآداب هو طاعةٌ للتوجيهات الربانية واستجابة للهدي النبوي؛ ومن ثم فإن آثاره الإيجابية على العامل وعلى العمل ذاته وعلى المجتمع الذي تسوده هذه القيم لا تخفى على ذي بصيرة.

١٣- يضاف إلى ذلك آداب خاصة بكل مهنة من المهن، وهذه الآداب تؤخذ مباشرة من التوجيهات الدينية المباشرة التي يتوجه فيها الخطاب إلى أصحاب المهن الخاصة بصفتهم المهنية، كالرعي، أو النجارة، أو الحدادة، أو الزراعة... أو غيرها. وهي تحتاج إلى دراسة متأنية واستقراءٍ دقيق للنصوص الواردة بهذا الشأن. ويمكن الوصول إلى صياغةٍ محددةٍ لهذه الآداب- بالإضافة إلى آداب المهن المعاصرة- عن طريق التعاون بين المتخصصين في ميدان التعليم المهني والمتخصصين في العلوم الشرعية.

التوصيات

يوصي الباحث بالتوصيات الآتية:

١- بناء مناهج التربية المهنية على الأسس الإسلامية للتربية المهنية بناء يراعى فيه أن تكون المبادئ والقيم والأخلاق والآداب الإسلامية المتعلقة بالعمل جزءا من المنهج التربوي، لأنها ذات تأثير فعال في حفز الدارسين وترغيبهم؛ خاصة وأن فيها حثا نبويا كريما على العمل، ورفعا لشأنه، وترسيخا لقيمته، ودفعا للأوهام التي تسود في بعض المجتمعات وتلقي بظلالها على قيمة العمل، فتحط من شأن المهن وأهلها، والتي بسببها

يفضل بعض الناس "البطالة" على كثير من المهن اليدوية والحرفية، ولا يخفى أثر ذلك سلبا على تنمية المجتمعات وتقدمها.

٢- ينبغي أن يفسح مكان في مناهج التعليم العام لمبادئ العمل وقيمه ومفاهيمه وآدابه، لأن ذلك من شأنه أن يصحح بعض المفاهيم الخاطئة حول ممارسة العمل المهني وأن يطلع النشء على حقيقة النظرة الإسلامية نحو العمل، بالإضافة إلى ترسيخ مفهوم شمول الدين الإسلامي لجوانب الحياة كلها، الدينية والدنيوية، وأنه لا مكان في هذا الدين للفصل بين الدين والحياة، وأن الدين والدنيا كلها لله أمرا ونهيا وحكما وتشريعا، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام، الآيتان ١٦٢، ١٦٣).

٣- توعية من هم على رأس العمل من المهنيين، وأصحاب الورش، والمعامل، والمصانع، والمتاجر، وعمال المناجر، والمخابر، والمطاعم، وأصحاب المهن الأخرى، كالخياطين، والجزارين، وغيرهم بضرورة الالتزام بالقيم الإسلامية المتعلقة بالعمل. ويكون ذلك عن طريق برامج التثقيف وخدمة المجتمع، كالمحاضرات والندوات وحلقات الدرس، والتدريب، والاتصال المباشر، وتوفير المواد المقروءة والمسموعة والمرئية، وغيرها مما يساعد على بث هذا الوعي.

٤- الدعوة إلى تبني هذه القيم والمبادئ لتكون أساسا للمواصفات والمقاييس الخاصة بالعمل والإنتاجية والجودة، وخاصة أن مبادئ العمل في الإسلام تعطي أهمية قصوى للإتقان وتحسين الإنتاجية، والأمانة في المحافظة على وقت العمل، وعدم إهداره وعلى المواد والخامات، وعدم إهدارها، أو الإسراف في تبديدها، أو التقليل مما تتطلبه

جودة الصنعة، وإتقانها من هذه المواد والخامات مما يدخل تحت دائرة الغش، وكذلك الأمانة فيما يتعلق بالتعامل مع المستفيدين من العمل المهني (الزبائن) من ناحية الدقة في المواعيد، والمحافظة على أوقاتهم، وأدواتهم، وأجهزتهم، وأموالهم، وما إلى ذلك.

٥- يوصي الباحث كذلك بإدراج موضوع الإتقان في الأداء المهني والإخلاص والأمانة في العمل ضمن ميادين "الحسبة" بشكل عملي، بحيث تقوم مؤسسات "الحسبة"- أو مؤسسات خاصة تقام لهذا الغرض- بمراقبة مدى الالتزام بالأمانة في الأداء المهني، وفي التعامل مع الأجهزة والمواد والأدوات، والإتقان في العمل، وضمان حقوق المتعاملين من جمهور الناس مع المهنيين في معاملهم ومشاغلهم وورشهم، أو في البيوت والمكاتب، والأبنية وغيرها.

٦- يوصي الباحث بإجراء دراسات شاملة لأصول التربية المهنية في الإسلام، تتناول أصول ومبادئ وميادين التربية المهنية في الإسلام بشكل يستوفي جميع جوانبها، ويوضح مضامينها، ويبرز سماتها وخصائصها، ويبرهن على سبق التربية الإسلامية غيرها من التربيات المعاصرة في الاهتمام والعناية بهذا الجانب التربوي الهام.

٧- يوصي الباحث- كذلك- بإجراء دراسات حول آداب المهن الخاصة بكل مهنة، ويوصي بالتعاون بين المتخصصين في التعليم المهني والمتخصصين في العلوم الشرعية لصياغة هذه الآداب صياغة تربوية شرعية تأخذ في الحسبان ظروف المهن وملابساتها المعاصرة.

المراجع

[١] الخطيب، محمد بن شحات. *الأصول العامة للتعليم الفني والمهني (دراسة في استراتيجيات التعليم الفني والمهني ومشكلاته)*. الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤١٥هـ.

[٢] الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية. *اللقاء السادس (التعليم الفني والمهني ومستقبل التنمية في المملكة العربية السعودية)*، ملخصات البحوث العلمية. الرياض: جستن، ١٤١٥هـ.

[٣] الهنيدي، جمال محمد محمد. *التربية المهنية والحرفية في الإسلام*. المنصورة: دار الوفاء، ١٤٢٠هـ.

[٤] النقيب، عبد الرحمن. *الإعداد التربوي والمهني للطبيب عند المسلمين*. القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت.

[٥] الأفريقي، ابن منظور. *لسان العرب*. بيروت: دار المعارف، د.ت.

[٦] مجمع اللغة العربية. *المعجم الوسيط*. الدوحة: دار إحياء التراث الإسلامي، ١٩٨٥م.

[٧] شلبي، رؤوف. *العمل الاقتصادي من وجهة نظر الإسلام*. القاهرة: دار الاعتصام، ١٣٩٩هـ.

[٨] المصري، عبد السميع. *مقومات العمل في الإسلام*. القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٢هـ.

[٩] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٤هـ.

[١٠] الألباني، محمد ناصر الدين. *ضعيف الجامع الصغير*. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٩هـ.

[١١] النيسابوري، مسلم بن الحجاج. *الجامع الصحيح*. استانبول: دار الدعوة، ١٤٠١هـ.

[١٢] البخاري، محمد بن إسماعيل. *الجامع الصحيح*. استانبول: دار الدعوة، ١٤٠١هـ.

[١٣] Donald Sanzotta. *Motivational Theories & Applications for Managers*. New York: Am Acom, 1977.

[١٤] الشنقيطي، محمد أمين. *أضواء البيان*. الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٣هـ.

[١٥] الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد. *جواهر الحسان في تفسير القرآن*. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، د.ت.

[١٦] الطبري، محمد بن جرير. *جامع البيان عن تأويل القرآن*. بيروت: دار الشعب، ١٤٠٨هـ.

[١٧] السجستاني، أبو داوود. *السنن*. استانبول: دار الدعوة، ١٤٠١هـ.

[١٨] الألباني، محمد ناصر الدين. *صحيح سنن أبي داوود*. الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٩هـ.

[١٩] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. *درء تعارض العقل والنقل*. تحقيق محمد رشاد سالم. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١هـ

[٢٠] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. *مجموعة الفتاوى*. مكة المكرمة: الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، ١٤٠٤هـ.

[٢١] قطب، سيد. *في ظلال القرآن*. بيروت: دار الشروق، ١٣٩٣هـ.

[٢٢] الألباني، محمد ناصر الدين. *صحيح سنن ابن ماجة*. الرياض: مكتب التربية العربي لدول

الخليج، ١٤٠٧هـ.

[٢٣] ابن حنبل، أحمد. *المسند*. تحقيق أحمد شاكر. القاهرة: دار المعارف، ١٣٧٧هـ.

[٢٤] النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم. *المستدرك*. بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.

[٢٥] قطب، محمد. *مفاهيم ينبغي أن تصحح*. القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٨هـ

[٢٦] النووي، يحيى بن شرف. *آداب العالم والمتعلم* (مقدمة كتاب المجموع). طنطا: مكتبة الصحابة، ١٤٠٨هـ.

[٢٧] العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. *فتح الباري*. بيروت: دار المعرفة، د.ت.

[٢٨] الهندي، علي المتقي. *كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال*. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ.

[٢٩] ابن ماجة القزويني، محمد بن زيد. *السنن*. استانبول: دار الدعوة، ١٤٠١هـ.

[٣٠] الترمذي، محمد بن عيسى. *السنن*. استانبول: دار الدعوة، ١٤٠١هـ.

[٣١] ابن حنبل، أحمد. *المسند*. تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.

[٣٢] ابن حزم، علي بن أحمد. *رسالة التوقيف على شارع النجاة باختصار الطريق*. ضمن *رسائل ابن حزم الأندلسي* تحقيق إحسان عباس. الجزء الثالث. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١م.

[٣٣] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. *المقدمة*. تحقيق علي عبد الواحد وافي. القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة، ١٤٠١هـ.

[٣٤] الخطيب، محمد شحات. "التوجيه والإرشاد المهني بالتعليم العام في المملكة العربية السعودية، دراسة ميدانية". *مجلة التربية المعاصرة*. ١٠، ع٢٦ (مارس ١٩٩٣م)، ١٥٥- ١٨٤.

[٣٥] الخطيب، محمد شحات. "دراسة تقويمية لتجربة التعليم التقني بالمملكة العربية السعودية". *التعليم الفني والمهني ومستقبل التنمية في المملكة العربية السعودية. ملخصات البحوث العلمية*. الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية، الرياض: جستن، ١٤١٥هـ.

[٣٦] الزهراني، أحمد خميس. "التوجيه والإرشاد الطلابي بين النظرية والتطبيق، دراسة استطلاعية في منطقة الطائف التعليمية كنموذج مختار". *التوجيه والإرشاد الطلابي في التعليم*. الكتاب السنوي الثاني. الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية. الرياض: جستن، ١٤٠٦هـ.

[٣٧] داوود، مايسة بنت محمود محمد. "الأصول التاريخية والسياسية للتعليم الفني." *التعليم الفني*

والمهني ومستقبل التنمية في المملكة العربية السعودية ، ملخصات البحوث العلمية. الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية. الرياض : جستن ، ١٤١٥هـ.

[٣٨] الحبيب ، فهد إبراهيم. "نحو استراتيجية لتطوير التعليم الفني والمهني في المملكة العربية السعودية." *رسالة التربية وعلم النفس*، الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية ، الرياض (محرم ١٤١٧هـ)، ٤٣- ٨٣.

[٣٩] النجار ، عبد الوهاب محمد. "النمو البدني وتنمية المهارات الحركية لتلاميذ المرحلة الابتدائية." *التعليم الابتدائي ودوره في تنمية المهارات الأساسية لدى التلاميذ*. الكتاب السنوي الثالث ، الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية. الرياض : جستن ، ١٤٠٦هـ.

[٤٠] الطبراني ، أبو القاسم سليمان بن أحمد. *المعجم الكبير*. تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي. بغداد : وزارة الأوقاف ، ١٤٠٠هـ.

[٤١] الألباني ، محمد ناصر الدين. *صحيح الجامع الصغير وزيادته*. بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٣٨٨هـ.

[٤٢] الهيثمي ، علي بن أبي بكر. *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*. القاهرة : دار الريان ، ١٤٠٧هـ.

[٤٣] ابن حنبل ، أحمد. *المسند*. القاهرة : مطبعة الحلبي ، ١٤٠٢هـ.

[٤٤] الألباني ، محمد ناصر الدين. *سلسلة الأحاديث الصحيحة*. بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٥هـ.

[٤٥] الألباني ، محمد ناصر الدين. *إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل*. بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٣٩٩هـ.

[٤٦] ابن سعد ، محمد. *الطبقات الكبرى*. بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٤٠٠هـ.

[٤٧] الطبري ، أحمد بن عبد الله. *الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشرين بالجنة*. بيروت : دار الندوة الجديدة ، ١٤٠٨هـ.

[٤٨] الألباني ، محمد ناصر الدين. *صحيح سنن الترمذي*. الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٨هـ.

[٤٩] الشوكاني ، محمد بن علي. *فتح القدير*. بيروت : دار الفكر ، ١٤١٤هـ.

The Islamic Basis of Vocational Education

AbdulAziz A.Al-mohaimeed
Assistant Professor ,Department of Education
College of Social Sciences ,Imam Mohammed Bin Saud University
Riyadh, Saudi Arabia

Abstract. This is a study aimed at describing and analyzing what the resourses of Islamic education include about vocational education, especially the Quranic verses and the sayings of the Prophet, peace be upon him, in addition to the explanations of these verses and sayings which had been written by some Muslim scholars in the past.

In accordance with the main objective of this study, which is tracing the Islamic bases of vocational education, some concepts, principles, values and facts have been discussed, such as the Islamic interpretation of human behavior and work, worship and work in building and maintaining life, and the relation between human abilities ,talents and natural recourses of energy. Thirteen main Islamic bases of vocational education have been derived from the Islamic education literature pertaining to this subject**.**

Finally, some recommendations were made in the light of the study with the purpose of building vocational education policies, goals curricula, and practices on the Islamic basis and concepts of this field of education, and further studies were suggested.